د. سليم نزال

الطريق الى بغداد

(من مسرح الحرب)

Kutub

الطريق الى بغداد

(من مسرح الحرب)

د. سليم نزال

إي- كتب
لندن، يناير 2015

The Road to Baghdad
By: Salim Nazzal
Copyright: The Author
Published by E- Kutub.com & Google Books
ISBN: **9781780581415**
* * * * *

الطبعة الأولى، لندن
المؤلف: سليم نزال
الناشر: E-kutub Ltd، شركة بريطانية مسجلة في انجلترا برقم: 7513024
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.
لا تجوز إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب ألكترونيا أو على ورق. كما لا يجوز الاقتباس من دون الإشارة الى المصدر.
أي محاولة للنسخ أو إعادة النشر تعرض صاحبها الى المسؤولية القانونية.
إذا عثرت على نسخة عبر أي وسيلة اخرى غير موقع الناشر (إي- كتب) أو غوغل بوكس، نرجو اشعارنا بوجود نسخة غير مشروعة بالكتابة الينا:
ekutub.info@gmail.com
يمكنك الكتابة الى المؤلف على العنوان التالي:
salim_nazzal@yahoo.com

أهدي هذا الكتاب
لابي وأمي رحمهما الله

تقديم

بقلم المخرجة الفلسطينية بثينة كنعان الخوري

"الطريق الى بغداد" هو عمل مسرحي جميل، متعدد القصص والروايات كل منها يشكو ويئن من الام الحرب التي بطبيعة الحال تعد ولا تحصي لتذكرنا بحال اصبح واقعا نتعايشة بشكل يومي في كافة اقطار وطننا العربي دون استثناء.

حال التشرذم والانطواء والانانية وايضا التعصب الديني والطائفي هي اجواء غير صحية ومرضية مزمنة خيمت على مجتمعاتنا العربية حيث اصبحت لبنة قوية للمجموعات الارهابية همها تدمير الانسان العربي تدميرا شاملا وكليا.

الاخ والصديق الكاتب سليم نزال كتب هذه القصص واجاد بها من واقع حسه الانساني العميق بتحمل المسؤولية تجاه البشرية عامة. لقد ابدع بتعدد الصور الخلابة رغم الالم الذي تنتجه الحرب، وبالرغم من الدمار الذي تخلفه على موجودات الكون اجمع.

وبالرغم من الحزن الذي يعتصر فؤاد الكاتب بسبب ما ال اليه واقعنا وما الت اليه مجتمعاتنا العربية فقد استطاع مخاطبة الوجدان الانساني والضمير البشري ليسلط الضوء على الجرح الغائر في الانسان العربي نتيجة كوارث الحروب الرهيبة التي وللاسف دوما كان لبلداننا حصة الاسد منها على مر الاجيال.

لقد خلفت هذه الحروب اجيالا جديدة لم تعرف قط معنى للقومية العربية أو الديمقراطية أو ممارسة العقلانية والانفتاح على العالم بشكل منطقي ممنهج. لقد عبر الكاتب في مجمل قصصه ورواياته عن قلقه وخوفه من حالة الضياع وفقدان هذه الاجيال للامل الذي

هو مصدر الانبعاث والاستمرار الكوني. لقد بذل مجهودا جبارا لرفض مفهوم الحروب والنزاعات والدمار وثقافة الموت والانهيار واليأس وتعويضها بمفاهيم يملؤها الأمل والانفتاح وتقبل الاخر والتعايش والتعددية.

"الطريق الى بغداد" استطاع أن يناقش مفهوم الحرب، اسبابها وما ينتج عنها، محاولا نبذ الفكرة من العقل البشري والتخلص منها في مكب التاريخ القادم. وإن تساءلنا هنا ما اذا كان مجرد تصور وتفهم المنطق من هكذا تفكير أمرا ممكنا، أو ما اذا كان الكاتب نجح في مهمته، فلي الشرف أن اخط بضع كلامات بسيطة لأنوه ليس فقط بأهمية بل ضرورة ما يحتويه كتاب "الطريق الى بغداد" من فكر نير وصريح ومباشر وانساني. إنه يذكرنا بالدرجة الاولى بالماضي العريق الذي لطالما افتقدناه وصرنا بأمس الحاجة له الان.

سليم نزال في كتابه "الطريق الى بغداد" استطاع وبكل جدارة أن يعكس اجواء التساؤلات عن اخلاقيات صنع الحروب وجدواها ومشروعيتها. فقد استوحى افكار رواياته من واقع تجربته الشخصية كونه لاجيء فلسطيني عانى ولا يزال يعاني من الغربة القسرية التي فرضت ليس فقط عليه بل على العديد من الفلسطينيين بسبب الحروب والصراع المستمر مع الكيان الصهيوني.

إن إحساس الكاتب المرهف بالاخر وشعوره بالمسؤولية تجاه قضية شعبة وكونه عانى من الحرمان من العيش بسلام في بلده الام ومعاناته من الحروب جعله يناقش مفهوم الحرب على مستوى شامل وعام ومتنوع. أما وجوده لفترات طويلة في بلدان اخرى بعيدا عن وطنه، فقد جعله ينأى بنفسه عن الانانية الفردية والانغلاق الذاتي بل بالعكس ازداد تشبثا بالسلوك الحضاري والانفتاح على مختلف الثقافات، كما اصبح مسكونا بالقلق والخوف على مصير الأمة العربية من المجهول. فخبراته

المتعددة في مجال الكتابة والتأليف اكسبته تنوعا راقيا ليتناول العديد من المواضيع، وليبحر بنا في محيط الحياة ويغوص باعماق الانسان سلبا وايجابا.

"الطريق الى بغداد" هو الطريق أيضا الى فكر الكاتب سليم نزال ابن ارض كنعان حيث يبحر بنا في تفاصيل دقيقة مع الكثير من الشخصيات ليجسد رسوما واقعية أليمة لكنها تعبر عن شغف الحب للكائنات البشرية، بعيدا عن الطغيان والظلم البشري.

الطيبة، رام الله، فلسطين
13 تشرين الثاني- نوفمبر 2014

مقدمة بقلم المؤلف

اسميت الكتاب باسم أحد المسرحيات المسماة بهذا الاسم. (الطريق الى بغداد) هي ليست سوى اسم رمزي يشير الى ظاهرة الاقتتال والحرب والدمار التي تعم بلادنا. لذا فان المسرحية خالية من اي ذكر لبغداد أو العراق. بقدر ما هي تعبر عن حالة الانهيار واليأس من الاقتتال والسخرية من الحرب من خلال حوار ناجين من الحرب.

(الطريق الى بغداد) هي كلمة السر للطريق الخطر الذي تسير فيه بلداننا. حيث الانقسامات والحروب وتفتت النسيج المجتمعي وانتشار ثقافة التعصب والكراهية وثقافة احتكار الحقيقة، والانهيار العام للدول والمؤسسات، وطغيان التعصب الديني والمذهبي الى درجة قد لا تكون مسبوقة في تاريخنا كله.

لقد كتبت هذه المسرحيات-المشاهد في ظل اجواء الحروب الداخلية، واجواء الحرب والموت وحالة الانهيار الذي تعيشه المنطقة العربية ولم تزل. فنحن نشاهد هذه الايام كوارث لم يكن يخطر في بال أحد منا انها قد تحصل في بلادنا. موت وقتل وحالة يأس تعم، ومدن تدمر وتصبح مدن اشباح، وتاريخ واثار بلادنا تدمر وتنهب. وملايين الناس باتوا لاجئين يهيمون على وجوههم في مختلف بقاع العالم. والالاف يحاولون الهرب عبر زوارق صغيرة، حيث غرق البعض، وقرأ الواحد منا قصصا عن رحلات الموت البحرية حتى اصبحت ماسأة سفينة تايتانيك لا تقارن بتلك المآسي.

ولعله يمكن النظر الى المسرحيات في هذا الكتاب على انها مشاهد وفصول لمسرحية واحدة أو عدة مسرحيات، ولكنها جميها تعنى بحالة الاحباط والضياع التي يعيشها البشر في ظل تضاؤل الأمل. انها تعبر عن القلق والخوف من المجهول، سواء على مستوى الافراد أو الجماعات. كما انها تعبر مباشرة، وغير مباشرة، على رفض ثقافة الحرب، والموت العبثي. واذا ما استعرضنا بعض المسرحيات المنشورة في الكتاب، سنجد ان الحوارات تعكس بقوة اجواء التيه والضياع، والقلق على المصير والخوف من المجهول، والبحث عن الامل وسط هذه الركام. نرى الناس هائمين على وجوههم، وقد رحلوا عن بلادهم، تائهين حينا في الصحراء، وحينا اخر في غابات لا تصلها الشمس، أو في سفينة تتقاذفها الامواج.

المسرحيات-المشاهد تعكس بقوة هذه الاجواء المضطربة. ففي مسرحية (السفينة تغرق) تغني ليلى قائلة:

أرى الامواج العاتية وهي تضرب بقوة
أيتها الاحزان القادمة
والاحزان التي تنتظر دورها لكي تأتي
أيتها الورود التي أجلت براعمها
أيها الرب القابع هناك ينظر لاحزاننا
آه كم نحتاج لنقطة ضوء.
ولو في حجم شمعة!

وفي مسرحية (لا شيء سوى الانتظار) نرى حالة الانكسار والانهيار المجتمعيين. تقول الصبية للناسك:

انكسر الحوض
وهاجرت الازمنة

صار الزمان غريبا
صار المكان غريبا
وصرنا غرباء
تمددت الصحراء
فوق حقول الطين

مسرحية (الطريق الى بغداد) تعكس اجواء التساؤلات حول المشروعية الاخلاقية للحرب في ظل فقدان الامل وانتشار مناخ اليأس. كما تعكس موقفا يدين الحرب والاقتتال المجتمعي. ففي هذه المسرحية نلتقي بناجيين اثنين، رجل وإمرأة، يسيران وسط بلاد دمرتها الحرب. وحواراتهما تعكس أجواء المأساة والضياع. بطل المسرحية رجل لا نعرف عنه شيئا سوى انه يسير وحيدا، وسط سماع اطلاق القذائف. ويبدو أن وحش الحرب، قد ابتلع ذاكرته القديمة، أي ذاكرة زمن السلم، ولم يعد عنده سوى ذاكرة الحرب. ولذا فانه يقول في المسرحية انه عندما تندلع الحروب فانها تطغى على كل شيء، وتختلط الامور، وكل شيء يصبح له لون الحرب. ولما تقول له "عدلة" بطلة المسرحية، إن الناس هي التي تصنع الحرب، يتفق معها لكنه يضيف، انه بعد اندلاع الحرب لا أحد يعرف من يصنع من؟

في أواخر المسرحية يقول البطل بوضوح إن المشكلة هي في فكرة الحرب. وهو تعبير يذكرنا بعبارة البير كامو: "إن البشر بعد أن يتساءلوا أين تعيش الحرب، يكتشفون إنها تعيش في داخلهم".

في مسرحية (الفكرة القاتلة) نرى اشخاصا يجلسون في بيت، وهم يسمعون أصوات اطلاق قذائف المدفعية. المرأة الشقراء تتمنى أن لا تصلهم القذائف، الامر الذي يستفز الاخرين خاصة

الرجل الأصلع الذي يرى أن المرأة، وإن بطريقة غير مباشرة، تتمنى الموت للاخرين بدافع من الأنانية التي انتجتها الحرب.

المرأة الشقراء ترفض هذا المنطق، وتعتبر أن أمنيتها كانت بريئة، وأنه تم تضخيمها. الحوار في هذه المسرحية يطرح اشكالية الانانية عند الانسان؛ أنانية البحث عن سبيل للنجاة الفردية ولو على حساب الآخرين.

ومن الواضح أن هذه الانانية تزداد اكثر في اوقات الحروب حيث الخوف والتوتر وانغلاق الانسان على ذاته وتراجع العلاقات الانسانية والسلوك الحضاري وازدياد السلوك الاناني.

لكن في الوقت الذي يقف فيه المرء ضد منطق الحروب الاهلية والدمار المجتمعي، وضد الحروب العداونية التي تقوم بها الدول الكبرى لاجل التحكم بمصائر وثروات الاخرين، فان من حق الشعوب الدفاع عن حقوقها.

والشعب الفلسطيني يصارع منذ حوالي مائة عام من اجل حريتة واستقلاله. ولعل مسرحية (من أجل كنعان) تعبر عن هذا الوضع. لقد وجدت الملكة الكنعانية (بيعيليت) نفسها في وضع كان عليها الاختيار بين الذل أو الموت دفاعا عن مملكتها. واختيارها للموت لم يكن حبا في الموت. فمن خلال المسرحية نرى فرحها وسعادتها وهي ترى مملكتها تتطور وتنمو.

لا بد من الاشارة هنا الى ان هذه المسرحية تعتمد على الحفريات التي اجريت في منطقة القدس، والتي تشير الى وجود المملكة الصغيرة التي قاومت حتى الموت.

أوسلو في 18 تشرين الثاني- نوفمبر 2014

صدى الحروب في الادب الانساني

الكتابة عن الحرب موضوع قديم قدم الانسان نفسه. ففي العصور القديمة سعى القادة الى تخليد اسمائهم وانتصاراتهم سواء عبر الرسومات والتماثيل، كما كان الامر لدى الرومان واليونان وقدامى المصريين والبابليين، أو في النقش على الصخر كما في النقوش الموجودة على نهر الكلب في بيروت التي هي سجل للفاتحين الذين احتلوا تلك البلاد.

ولعل حرب طروادة هي الاشهر في التاريخ القديم التي سجلتها الياذة هوميروس. في حرب طروادة يختلط التاريخي مع الاسطوري، لكنها تقدم لنا فكرة جيدة عن البطولة والشجاعة والخداع في الحروب.

وربما كان هيرودوتس أول المؤرخين في التاريخ. كان يطوف البلاد ويكتب مشاهداته وكان أحد أهدافه كما يقول، أن يحذر الناس من أخطار الحرب. وقد قام الفرس بغزو اثينا مرتين، مرة في زمن الملك الفارسي داريوس، ومرة اخرى في زمن الملك احشويروش. ويذكر هيرودوس حكاية ذات مغزى حصلت لملك الفرس احشويروش الذي اجهش بالبكاء، وهو يراقب قواته الجرارة تنتقل من اسيا نحو القارة الاوروبية. سأله عمه عن سبب بكائه، فقال كل هذه الجيوش التي هنا، بعد مائة عام لن يكون أحد من هؤلاء المنتصرين على قيد الحياة!

لا شك أن ملاحظة الملك احشويروش في مكانها إذ أن حياة الانسان قصيرة جدا على الارض، ومن المحزن أن هذه الحقيقة البسيطة التي يعرفها كل انسان، لا تترجم في واقع الحياة الى سلوك يرتقي بالانسان.

التاريخ العربي القديم حافل بالحروب التي عبر عنها الشعراء العرب في قصائدهم. ومن المعروف أن الشعر العربي كان السجل الذي نقل لنا احداث هذه الحروب. ومن اشهر هذه الحروب، الحرب المعروفة بحرب السباق أو داحس والغبراء، التي وقعت بين قبيلة عبس وفزارة على خلفية سباق الخيل بين داحس والغبراء، التي اسميت الحرب باسمهما. وقد ادت هذه الحرب الى انتشار الثار وعدم الاستقرار في الجزيرة العربية نتيجة لاستمرار القتال والثار.

وفي ظل الحروب وثقافة الاخذ بالثار كما كانت عليه الحال في الجزيرة العربية، كان يظهر عقلاء وحكماء يحذرون من مخاطر وويلات الحروب، ويدعون الى السلم المجتمعى، كما نرى على سبيل المثال في القصيدة الميمية لزهير ابي سلمى، التي يعبر فيها عن تجارب حياته ويحذر من ويلات الحروب.

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر إذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحي بثقالها
وتلقح كشافا ثم تنتبح فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشام كلهم
كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها

قرى بالعراق من قفيز ودرهم.

كانت تلك الازمنة أزمنة كان الفرسان يقابلون بعضهم البعض وجها لوجه، ويتصارعون بالسيوف سواء كانوا على ظهور خيولهم، أم واقفين على اقدامهم.

واستمر الامر على هذا النحو حتى القرون الوسطى حيث ظلت صورة الفارس مرتبطة بالنبل وبالسلوك الراقي البعيد عن العنف والوحشية. وحتى الان فان كلمة فارس ترتبط في اللغة العربية بصفات البطولة والنبل والشهامة. ويعتبر صلاح الدين الايوبي رمزا معترفا به من اعدائه قبل اصدقائه من رموز الفروسية، ومن الحوادث الشهيرة التي تؤكد على شهامته، رفض صلاح الدين ان يقتل خصمه أمير حصن الكرك رينو دي شاتيو عندما سقط سيف هذا الاخير.

وفي كتاب الكسندر دوماس المعروف (الفرسان الثلاثة) هناك صور عدة عن حياة الفرسان. فبطل الرواية (دارتانيان) يمثل مع اصدقائه الاخرين نموذج الفرسان النبلاء الذين يضحون من اجل الدفاع عن القيم العليا.

لكن ما ان بدا عصر النهضة العلمية التي كان لها انعكاسات على مجمل الحياة في اوروبا، حتى بدا عصر جديد من الحروب، التي لم يعد فيها الخصم يواجه خصمه. فقد حل عصر البارود الذي افتتح مرحلة الحروب الحديثة التي باتت تحرق الاخضر واليابس.

مع بداية استعمال البارود انتهى عصر البطل الفارس. وانتهى عصر الرجال الشجعان الذين يمتطون خيولهم، ويواجهون اعداءهم وجها لوجه بل ويتحدثون معهم احيانا.

ومع بداية عصر المدافع انتهى مفهوم (ساحة الحرب) التي كان يتقابل بها المحاربون في الغابات والسهول البعيدة نسبيا عن المدن والقرى. وباتت المدن والقرى هدفا لقصف المدفعية البعيدة المدى والصواريخ الامر الذي سبب بمعاناة كبيرة للسكان المدنيين.

يعبر وليم شكسبير في القرن السادس عشر الذي بدا فيه استعمال البارود عن واقع الحرب في الفصل الاول من المشهد الثالث في مسرحية جوليوس قيصر. (اتبع طبلك، مع الدم المطلي على الارض. غوليس غوليس، الشرائع الدينية والقوانين المدنية هي القاسية. ثم ماذا تنبغي ان تكون الحرب؟).

في الحرب الحديثة لم يعد لشجاعة المقاتل اي دور، صار بوسع بضعة رجال من سلاح المدفعية ان يقتلوا المئات والالاف من مسافات بعيدة. صغر حجم البطل الفرد، وغاب دور الفروسية، وحل مكانه عصر الجنرالات الكبار القابعين في مقرات القيادة ويحركون مئات الالاف من المحاربين. كما بدأ معه عصر تصادم القوميات والايديولوجيات. وفي الصراع الانكليزي الفرنسي الطويل، نجح الاميرال الانكليزي نلسون في تدمير اسطول نابليون قرب السواحل المصرية، الأمر الذي قوّى مشاعر الاعتزاز القومي البريطاني خاصة انه جاء في مرحلة تكون القوميات في اوروبا. ثم جاءت (واترلو) التي خسر فيها نابليون فعززت من شعور التفوق البريطاني وألحقت مشاعر الاذلال بالفرنسيين.

وفي روسيا نرى اصداء الحروب النابليونية في رواية (الحرب والسلام) لتولستوي الذي كان هو نفسه جنديا في القوقاز، وهي تغطي الحروب النابليونية من العام 1805 وحتى العام 1812.

في هذه الرواية نلمس الدعوة لحب الحياة، وتمجيدها بدل تمجيد الحرب. ويبدو أن هدف تولستوي هو أن يتأمل الانسان التاريخ من منظور أعمق، لانه يرى أن حادثا يقتتل فيه ملايين البشر، ويموت فيه نصف مليون جندي، لا يمكن أن يكون من فعل شخص واحد.

كانت الحرب العالمية الاولى اكبر صدام حديث بين ملايين الجنود من الطرفين. وقد أدت هذه الحرب الى مقتل اكثر من 20 مليونا من البشر وخلّفت دمارا واسعا في القارة الاوروبية.

في هذا الواقع المدمر برزت الحركة السريالية التي اثرت في الفن والادب والموسيقى والفكر السياسي. وهي تعتبر رد فعل على الدمار الهائل ولتعكس حالة اليأس القائمة، كما في اعمال انتونين ارتود ولويس اراغون واندريه بريتون وغارسيا لوركا وسلفادور دالي وسواهم.

كان الهدف من هذه الحركة كما أعلن هو (تحرير الانسان من العقلانية الزائفة) ولعل ما ميز كتابات السرياليين هو التلقائية في الكتابة بدون مراقبة الافكار.

وقبيل الحرب العالمية الاولى، حين انتشرت حمى الروح القومية والتعصب القومي، تنبأ برنارد شو أن اوروبا تتجه فيها نحو الدمار وكان له موقف حاسم ضد منطق الحرب الامر الذي عكسه في مسرحية (بيت القلب المكسور).

كما ظهر شعراء ممن يؤيدون سياسة الدولة مثل الشاعر البريطاني كبلنغ خاصة في قصيدتة المعروفة (عبء الرجل الابيض!) التي اثارت الكثير من الجدل والانتقاد كونها اعتبرت مؤيدة للثقافة الكولونيالية.

وربما يكون الشاعر البريطاني ويلفرد أوين من أهم الشعراء الذين كتبوا حول الحرب العالمية الاولى من نظرة مغايرة للنظرة الرومانسية التي كانت الدولة تروج لها. فلقد خاض اوين غمار هذه الحرب، وشاهد الالاف من الجنود يسقطون موتى بسبب الاسلحة الكيميائية وسواها من الاسلحة الفتاكة. ولعل قصيدته (الشباب المحكوم عليه بالموت) من اهم القصائد التي كتب لتصف اهوال الحرب. ومن المفارقة أن الشاعر قتل قبل اسبوع واحد من انتهاء الحرب العالمية الاولى.

وقد وصلت برقية وزارة الدفاع الى والدته لتخبرها بمقتله، في اليوم الذي كانت فيه اجراس الكنائس تقرع احتفالا باعلان انتهاء الحرب العالمية الاولى.

تقول قصيدة أوين (الشباب المحكوم عليه بالموت):

"ما جدوى تلكَ الأجراس لمَن يُساقون للموت كالأنعام؟
فقط من الغضبِ الهادر من صوت المدافع الأحمق،
أو من صوتِ الرصاص المتتابع من البنادق المميتة،
هذا ما يمكن سماعه بوضوح
بدلا من تلك الصلوات العجلى الرتيبة الآن
لا جدوى من الكلمات الزائفة،
لن تجدي الصلوات ولا الأجراس،
ولن تجدي أصوات الجوقة الرتيبة في الكنائس،
صوت النحيب العالي، وصوت الجنائز من الأبواق الهادرة،
ولا الأصوات الحزينة المنبعثة من القرويين البسطاء
تناديهم في أسى.
ما جدوى الشموع التي نرفعها ونشعلها بانتظارهم؟
هي ليست في أيدي الأولاد، لكن في عيونهم،

سوف تلمع الأنوار المقدسة في نداءات الوداع.
سنراها في شحوب أوجه الفتيات،
عند سماع الأخبار الحزينة المفعمة بلون الموت
زهورهم تلكَ التي تنثر بمحبة على توابيتهم،
هي الحزن الباقي، هي الأسى المقيم
في أعين الثكالى والمفجوعين،
وتلك الستائر التي نفردها معلنة أحزاننا ايام الحداد.
سوف ينتحب العالم عندما يأتي الظلام
عند غروب شمس كل يوم".

ومن الكتب التي روت قصة الحرب من منظور يصور بشاعتها رواية (وداعا ايها السلاح) لارنست همنغواي التي هي نوع من سيرة ذاتية للمؤلف نفسه. فالقصة تتحدث عن شاب امريكي تطوع كسائق لسيارة اسعاف في الصليب الاحمر الايطالي اثناء الحرب العالمية الاولى. واخيرا وجد أن الحل يكمن في الخروج من جحيم الحرب والبحث عن سلام خارج مسرح الموت.

اما في المرحلة ما بين الحربين العالميتين، فقد كتب ارنست همنغواي روايته (لمن تقرع الاجراس؟) حول الحرب الاهلية الاسبانية، التي استخدمت فيها اسلحة اكثر دمارا مما استخدم في الحرب العالمية الاولى. في هذه الرواية، التي كتبت بتأثير تجربة الكاتب في اسبانيا اثناء الحرب الاهلية، نرى أن أصداء الموت تخيم في كل صفحات الرواية. فالشاب الامريكي روبرت الذي التحق باحدى فرق المقاومة لنظام فرانكو الفاشي، يكلف بمهمة تفجير جسر. وهو يعتقد أنه لن يخرج من هذه العملية حيا. الرواية باكملها تجسيد لوحشية وقسوة الحرب.

ولعل اللوحة التي رسمها بابلو بيكاسو، والمعروفة باسم (غورنيكا)، والتي يصور فيها الدمار الهائل التي اصاب المدينة من جراء قصف الطائرات الالمانية والايطالية في العام 1937، قد باتت من أهم اللوحات التي عبرت عن الدمار الذي تحدثه الحروب الحديثة.

ومع الحرب الحديثة بدأت الدول تعطي اهتماما اكبر وتخصص ميزانيات ضخمة للبروباغاندا. والهدف من ذلك هو التاثير على الرأي العام من خلال الميديا والفن، لاجل تبرير خوضها الحرب من جهة، ومن جهة ثانية تجنيد الشباب للحرب تحت شعار (الدفاع عن الوطن!) ومن أجل اسكات الاصوات التي تنتقد الحرب، خاصة تلك التي يتم فيها الاعتداء على دول وبلاد اخرى طمعا في مواردها أو موقعها بغرض السيطرة عليها.

والظاهرة المكارثية في امريكا، ومدرسة غوبلز في الدعاية في المانيا النازية خير أمثلة على البروباغاندا التي تسعى الى اسكات كل صوت منتقد لسياسة الدولة. وفي العصر الراهن تستخدم الحركة الصهيونية ذات الاسلوب، وذلك عبر اتهام أي منتقد للاحتلال الاسرائيلي بانه ضد السامية من أجل إسكات الاصوات المنتقدة للاحتلال الاسرائيلي لفلسطين.

لكن ذلك كله لم يسكت الاصوات التي تنتقد الحروب. والشكوك حول مشروعيتها لم تتوقف. والدليل على ذلك وجود العديد من الحركات المناهضة للحرب في العالم.

جاءت الحرب العالمية الثانية لتحمل دمارا اكبر بكثير من الحرب العالمية الاولى. ففي هذه الحرب تم ضرب مدن يابانية بالاسلحة الذرية المدمرة، ومات في هذه الحرب حوالي 50 مليون انسان، عدا الدمار الذي عم مناطق القتال. لقد اصبح واضحا ان

المدنيين المسالمين هم الذين يدفعون الثمن الباهظ لهذه الحروب. وكما في الحرب العالمية الاولى والثانية، والحروب التي تلت ذلك، كان لها صدى في العديد من الاعمال الادبية لعل اشهرها مسرحية صموئيل بيكيت (في انتظار غودو) التي جاءت بعد الحرب العالمية الثانية.

(في انتظار غودو) نرى شخصين يقفان على قارعة الطريق في انتظار غودو من أجل أن يخلصهما من حالة اليأس والاحباط. لا أحد يعرف بالطبع من هو غودو لانه لم يأت. هل هو المسيح العائد ليبعد شبح الحروب عن بني البشر، أم هو الأمل الذي يتمسك به الانسان، خاصة في ظل الدمار المادي والنفسي الذي يعاني منه في زمن الحروب والكوارث؟

اما في العصر الراهن فقد احتلت الولايات المتحدة العراق العام 2003 تحت ذريعة وجود اسلحة دمار شامل، وتبين لاحقا عدم صحة هذا الادعاء. كما بررت امريكا الاحتلال بنشر الديموقراطية، بينما في الواقع لعبت دورا كبيرا في تشجيع وتغذية الطائفية الأمر الذي أدى الى مصرع ما لا يقل عن مليون عراقي وانهيار الدولة العراقية، وانتشار التطرف الديني الذي لم يزل يضرب بقوة مناطق عدة من الوطن العربي.

ومن أهم الاصوات الشعرية المهمة في الغرب التي كتبت بقوة ضد الحرب على العراق، كان صوت هارولد بنتر الذي حصل على جائزة نوبل للاداب عام 2005. في قصيدتة (لا تنظر) يعبر بنتر عن القلق الانساني للحال المرعب الذي وصل اليه العالم:

"لا تنظر

لا تنظر فالعالم على وشك أن يتحطم

لا تنظر.
فالعالم على وشك أن يتخلص من كل نوره وبهائه
ليحشرنا في حفر عتمته الخانقة
حيث نقتل أو نُقتل أو نرقص أو نبكي
ثم نصرخ كالفئران
ونحن نتفاوض على سعر لبداية جديدة"[1].

[1]ترجمة سمير الأمير

الطريق الى بغداد!

المكان: فناء مدرسة في ظل اجواء حرب

الشخصيات: رجل في اواخر الاربعينيات من العمر. يضع طاقية فوق راسه، وحقيبة فوق ظهره المتقوس قليلا.

إمرأة في ثلاثينيات العمر. ترتدي بنطلون جينز، وتضع حقيبة فوق ظهرها.

اصوات انفجارات متقطعة تبدو بعيدة ثم تسمع بوضوح احيانا اخرى. لكن اصوات المدافع لا يبدو انها تؤثر على الرجل الذي يحمل حقيبة ظهر، ويسير وحيدا في الطريق العام. بل لا يبدو مهتما الى درجة انه لا يلتفت الى مصدر الانفجارات الذي يحدثه القصف المدفعي. ويبدو انه قرر ان يستريح في فناء بناية تبدو انها كانت في السابق مدرسة، حيث لم يزل ملعب كرة السلة في وضع جيد كأن الحرب لم تصله.

يفتح حقيبة الظهر ويخرج منها بعض الخبز وقنينة ماء، ويجلس لياكل وقد بدا ساهما. وبينما هو كذلك يسمع صوت اقدام تقترب منه. لكنه يستمر في الاكل بلا اكتراث. ولا يهتم حتى للنظر الى مصدر الصوت لمعرفة من يكون القادم، الذي بدا إمرأة في حوالي منتصف الثلاثينيات من العمر. حيته ولكنه لم يرد التحية، ولم يلتفت اليها. تقترب المرأة منه وتكرر التحية، وهو لا يرد. ثم تتقدم منه وتقف امامه وتقول: إنه أمر رائع أن يكون هناك أحياء سواى. لقد ظننت أني الناجية الوحيدة من هذه الحرب المجنونة!

الرجل: (يرفع رأسه وينظر اليها) جميل أن الحرب لم تاكل كل الناس.

المرأة: (سعيدة أنه نظر اليها): يا لها من حرب مدمرة.

الرجل: (بسخرية) ها ها، حرب مدمرة. هل توجد حروب غير مدمرة؟

المرأة: تستطيع أن تقول ذلك، لكن لا افهم كيف غسلوا ادمغتنا لكي نذهب لنقاتل بعضنا البعض؟

الرجل: (ببعض السخرية) إنها ذات القصة في كل الحروب. يخبرون الشبان أن الحرب ستحقق العدالة وتحل كافة المشاكل، وأنها ستكون نزهة، وأن النساء الجميلات في انتظارهم بعد العودة من الحرب.

المرأة: (متابعة ما يقول) بعدها يكتشفون الحقيقة.

الرجل: (ببعض الغضب الصامت) لكن متى يكتشفون ذلك؟ عندما يكون الخراب قد حل على البلاد. عندما تكون الكراهية قد سيطرت في القلوب، وعندما تكون القبور قد غصت بالقتلى.

المرأة: فعلا هذا صحيح (تحاول تغيير الموضوع) هل التقيت بناجين اخرين؟

الرجل: (يستمر في تناول طعامة بدون أن يلتفت اليها) كلا.

المرأة: (تفتح حقيبتها وتجلس الى جانبه على الدرج) منذ متى وانت تسير في الطريق؟

الرجل: (يلتفت اليها بسرعة ويكرر سؤالها) منذ متى وانا اسير؟ لا اتذكر.

المرأة: (باستغراب) لا تتذكر!

الرجل: لا اتذكر اي شيء سوى اني اسير في هذه الطريق الخالية من الناس.

المرأة: (تحاول ان تكون اكثر لطفا) فعلا هذه الحرب طالت اكثر مما ينبغى.

الرجل: (بلا اكتراث) الواقع اني لم اعد متاكدا ان كان هناك شيء اخر سوى الحرب.

المرأة: (مستغربه، لكنها تقرر تغيير الموضوع) بالمناسبة انا اسمي عدلة، وانت ما اسمك؟

الرجل: (بدون أن يلتفت اليها) لا أذكر.

عدلة: (باستغراب) لا تذكر اسمك!

الرجل: (بسخرية): لا يوجد سبب لاتذكر اسمى. الحروب لا تحتاج اسماء.

عدلة: لا افهم ماذا تعنى؟

الرجل: الاسماء لها وظيفة في الحياة العامة والمجتمع. في المدرسة أو في العمل. أما في الحرب فلا وظيفة لها. (يتوقف فجاة وينظر الى السماء) الان يوجد فقط مدافع تقصف بم بم (يقلد اصوات القصف)

عدلة: (تتاوه) حتى في زمن الحرب الاسماء لها أهمية.

الرجل: (يكرر كلمة اهمية) أية أهمية؟

عدلة: طبعا مهمة. انا لدي اسم، وانت بلا اسم.

الرجل: لا قيمة لذلك، الاسماء لا تفيد الان بشيء.

عدلة: (باستغراب متزايد) كيف لا تفيد بشيء الاسم جزء من هوية الانسان؟

الرجل: (بسخرية) عن أية هوية تتحدثين! هل تحتاج القذائف اسمك لكي تسقط عليك. (يعود ليقلد صوت القذائف بم بم)

عدلة: (بصوت هادىء) لكن إن قتل كلينا، سيعرفون من أنا، ولن يعرفك أحد.

الرجل: (بضحكة ساخرة) وهل هذا يعطيك قبرا بخمسة نجوم؟

عدلة: ما عنيته.....

الرجل: (مقاطعا) القبور متساوية بعض النظر عن الديكور الخارجي، انها حفرة تملاها الديدان في اخر المطاف! انا وانت والملك كلنا متساوون في هذا.

عدلة (بابتسامة): لكن الملك يتم تذكره، اما انت فلا احد يذكره.

الرجل: (يضحك بصوت عال) يا له مكسب عظيم (يتابع الضحك بسخرية) اسمعي يا سيدتى، كل ما تريه من فلاسفة وشعراء وفقراء وسائقي حافلات وقادة جيوش، قضاة وسارقين، حالمين وبؤساء وملوك وعظماء وعابري سبيل، لا أحد يحمل معة قوس قزح واحد. أتفهمين ذلك؟

(يتوقف قليلا ثم يتابع بلهجة جدية وحزينة)

لا أحد يحمل معه غيمة واحدة، ولا أريجا من ازاهير الربيع. عندما ياتون يجدون الف سبب لكي يتحاربوا، ثم يصنعون من الوقت سلاحا يتصارعون فيه كالديكة. يشربون بعض القهوة في امسيات الهدنة، يثرثرون حول الحب والحرب والموت ثم يمضون.

عدلة: (تصفق له، ثم تنظر الى وجهة بتمعن) كلام رائع اظن أن الجميع يعرفه، ويحث المرء على التفكير كلما نسمعه، لكن من يتعظ؟ (تتوقف فجاة) ولكن هل حقا فقدت الذاكرة؟

الرجل: أجل، فقدت الذاكرة وفقدت الرغبة في أن يكون لي ذاكرة.

عدلة: معنى هذا انك لا تريد أن تتذكر أي شيء قبل الحرب، أم أنك فقدت ذاكرة ما قبل الحرب؟

الرجل: ذاكرة ما قبل الحرب هي لزمن ما قبل الحرب. الان لا يوجد سوى الحرب.

عدلة: ما معنى هذا؟

الرجل: اعني أن الحرب اللعينة صبغت كل شيء بصبغتها، الناس، الجنود وكل شيء.

عدلة: صبغت كل شيء، كيف؟

الرجل: الحرب تلون كل شيء بالوانها، الشجر، البيوت، الشوارع، الناس وكل شيء يصبح بلون الحرب.

عدلة: لكن كيف تغير كل شيء؟

الرجل: (بسرعة) كيف لا اعرف! الشارع الذي تعرفيه قبل الحرب، ليس كما هو بعد الحرب. اصوات الناس ووجوههم، كلامهم، احلامهم، كل شيء يصبح لونه يشبه لون الحرب.

عدلة: لكن الناس هي التي تصنع الحرب؟

الرجل: (ينظراليها) في البداية نعم، لكن بعد وقت لا نعد نعرف فيه من يصنع من؟

عدلة: اذن افهم ان ذاكرة ما قبل الحرب اختفت منك تماما؟

الرجل: (ببعض الانفعال) هل تريدين مني أن اتذكر زمن ما قبل الحرب، حين كان الناس يشكون من أبسط الامور، مثل أن يتأخر الغداء نصف ساعة مثلا، أو عندما يتذمر الناس إذا تأخروا عن الوصول الى البيت في وقت الزحمة (يتوقف قليلا ثم يحدق بها). هل تعتقدين أني اتذكر أمورا مثل الذهاب الى المسرح او السينما أو المطعم، لا لا، هذا العالم اختفى تماما، والان لا يوجد سوى الحرب. (يبدأ باطلاق اصوات بم بم).

عدلة: اذن لم يعد في ذاكرتك سوى الحرب؟

الرجل: (يحرك يديه في الهواء) قنابل، جثث مكومة في الشوارع وخوف، هذه هي ذاكرتي.

عدلة: (يزداد تعاطفها معه) هل تستطيع أن تتذكر إن كانت لديك عائلة؟

الرجل: (ينظر الى الارض، ثم يصمت للحظات) عائلة؟، ربما كانت لي عائلتي، لا اعرف، ربما ماتوا جميعا، لا اعرف.

عدلة: هل تعني انهم قتلوا في الحرب؟

الرجل: قتلوا، اعدموا، اختفوا، لا اعرف (ينظر الى السماء ويبتسم بسخرية) ربما انتقلوا الى السماء.

عدلة: (تبدو متاثرة) يا الهي، لا افهم لماذا توجد الحروب؟

الرجل: الجواب بسيط، انانية البشر يا سيدتي.

عدلة: لكن اين عقل البشر؟

الرجل: (بسخرية) عقل البشر ها ها (يتوقف للحظات) أتعرفين ما هي الانانية التي تنتجها الحروب؟ إنها الوحش الذي يبتلع كل شيء، حين تحضر الانانية ينسحب العقل، الاخلاق، والضمير وكل شيء.

عدلة: تقصد...

الرجل: (يقاطعها بسرعة) اقصد ان الحرب هي تاريخ البشر من البداية. منذ متى عاش الانسان بلا حرب؟ ان لم تكن حرب هنا، تكون في مكان آخر. وحين يجلس اناس للغناء والرقص في مكان، هناك اخرون في مكان اخر هائمين على وجوههم بسبب الحرب. الان جاء دورنا.

عدلة (باهتمام): اذا كان باستطاعة الانسان أن يصنع الحرب، إذن في استطاعته أن يوقفها. الا تظن ذلك؟

الرجل: (محدقا في وجهها) يوقفها؟ كيف؟

عدلة: (بصوت جاد) بنزع السلاح من الجميع.
الرجل: لكنهم رغم ذاك سيتقاتلون.
عدلة: كيف يتقاتلون بلا سلاح؟
الرجل: يتقاتلون بالسكاكين.
عدلة: اذن ننزع السكاكين ايضا.
الرجل: سيتقاتلون بالعصي.
عدلة: ننزع العصي ايضا.
الرجل: سيتقاتلون بالايادي هل ستقطعين ايادي الناس؟
عدلة: اذن ما هو الحل؟
الرجل: حل؟ لا يوجد سوى حل نزع فكرة الحرب من العقول
عدلة: لكن كيف؟
الرجل: لا اعرف كيف، لكني اعرف انه طالما ظلت فكرة الحرب قائمة في العقول، ستظل هناك حروب بين البشر.
عدلة: معنى هذا انه لا خلاص للبشر من الحروب.
الرجل: لا ادري ان كان هناك خلاص ام لا. انهم يجدون دوما اسبابا لكي يتحاربوا، سواء بسبب العرق او الدين او المصالح او اي شيء، لذا لا بد من اقتلاع فكرة الحرب نهائيا.
عدلة: لكن هذا ليس بالامر السهل، فحتى الاطفال في الحارة يلعبون لعبة الحرب.
الرجل: أرايتّ هنا تقع المشكلة، لا بد من اجتثاث الفكرة من الجذور.
عدلة: (مفكرة) يا الهي! يبدو لي اننا لن نستطيع يوما أن ننتهي من الحرب.

الرجل: اجل، لن ننتهي منها طالما نفكر في تجميل الحرب، المهم ان ننزع الحرب من عقولنا، او ان تنزعنا الحرب من وجودنا.

عدلة: يعني لا يوجد حل وسط؟

الرجل: (بتصميم) لا يوجد حل وسط.

عدلة: لكن ماذا عن الجهود لتخفيف ويلات الحرب؟

الرجل: (ساخرا) تخفيف ويلات الحرب مثل عمل الصليب الاحمر، هاها. كلها محاولات لتجميل الحرب ليس الا لكي تظل فكرة الحرب مقبولة. (يتوقف فجاة) هل تصدقين حين يقولون ان هناك اسلحة معينة محرمة للاستعمال، ها ها. كل الاسلحة قاتلة، وكل ما يفعلونه هو اخفاء بشاعة الحرب.

عدلة: (تلقي نظرة على الطريق ثم تقول فجاة) ارى من بعيد اناسا قادمون.

الرجل: (ينظرالي اخر الشارع) ماذا؟

يتوقفان فجاة، بعدما ترامي الى سمعهما سيارات عسكرية تقترب منهم.

الرجل: (بقلق) هل ترين الجنود، دعينا نختبىء.

عدلة: (تنظر لكي ترى الجنود) نعم، ولكن اين نختبىء؟

الرجل: دعنا نقفز من السور الى فناء البناية.

(يساعدها على القفز ثم يقفز وراءها)

عدلة: (بصوت خافت): هل تعتقد انهم قادمون نحونا.

الرجل: (بصوت خافت) ربما. كيف لي ان اعرف؟

عدلة: (بصوت خافت) هل تظن انهم سيقتلوننا؟

الرجل: (بصوت خافت) لا ادري!

عدلة: (بصوت خافت)

ماذا لو كانوا قوات صديقة؟

الرجل: (ها ها) قوات صديقة! كيف لنا أن نعرف! كلهم جنود ولا يتقنون سوى اطلاق النار.

عدلة: (بصوت خافت) أسمع اصواتهم.

الرجل: (بصوت خافت) أسمع اصواتهم.

عدلة: (بصوت خافت) دعنا نغلق باب الغرفة.

الرجل: (بصوت خافت) أجل.

(يتقدم الرجل نحو الباب ويغلقة بهدوء، ثم يقول بصوت خافت) آمل أن نكون في أمان الان.

عدلة: (بصوت خائف) ماذا لو جاوؤا الى الغرفة؟

الرجل: (بصوت خافت) لا أعرف. انها مدرسة كبيرة وغرفها كثيرة.

عدلة: (تضع اصبعها على فمها وتقترب منه وتقول): اسمع اصواتا تقترب.

الرجل: (بصوت خافت) اجل اسمع اصواتا تقترب نحونا.

عدلة: (بصوت خائف) ماذا نفعل الان؟

الرجل: (بصوت قلق) دعنا نختبىء خلف المقاعد.

(يختبئان خلف المقاعد بهدوء)

عدلة: (بصوت خافت جدا): اعتقد اننا بتنا نقترب من الموت.

الرجل: (بصوت خافت) نحن موتى في الواقع. ننتظر التوقيع فقط.

عدلة: (بصوت خافت) آه يا ليت عندي الان بندقية.

الرجل: (بصوت خافت) لماذا؟

عدلة: (بصوت خافت) لكي لا اموت رخيصة.

الرجل: (بسخرية) هل تعتقدين أنك إن قتلت احدا منهم تجعلين موتك غاليا؟

عدلة: كلا، ولكن من أجل أن يكون لموتي معنى.

الرجل: اي معنى؟

عدلة: معنى الموت الحقيقى.

الرجل: كفي هراء لعله من الافضل أن نموت بهدوء وبلا صخب.

عدلة: يبدو أنك قد استسلمت للواقع.

الرجل: (يقف ويسعى لضبط غضبه) هل هذا ما تعتقدينه عنى؟

عدلة: (بصوت منخفض جدا) ارجوك. إهدأ الان لا داعي للتحدث بصوت مرتفع.

الرجل: (باصرار) لا. ساتحدث بصوت مرتفع.

عدلة: لماذا؟

الرجل: لانك قلت كلاما فارغا وانت لا تعرفين عني شيئا.

عدلة: (بشعور الاسف) انا اسفة ولا اقصد الاساءة.

الرجل: (لم يزل واقفا) نعم عليك الاعتذار. هذه الحرب الاولى التي تعرفيها، اما انا فقد شاهدت ثلاثة حروب. شاهدت كيف يغسلون عقول الشباب لكي يذهبوا للموت. يقولون لهم انتم الابطال لكن يتخلون عنهم بسرعة حين لا يحتاجونهم. رأيت تجار الحروب وتجار الدم وتجار البشر.

(يتوقف فجاة ثم يرفع قميصه) انظري هنا وستري الجروح القديمة!

(تقترب منه عدلة، وتضع يدها فوق راسه ويتعانقان)

الفكرة القاتلة

المكان: بيت كبير تجمع فيه عدد من العائلات في زمن الحرب
الزمان: زمن الحرب
الجميع يجلس في بهو صالون واسع. بين الحين والاخر يسمع الجميع اصوات قذائف مدفعية بعيدة يقترب صوتها بين الحين والاخر.

الشخصيات:
رجل طويل
رجل قصير
رجل اصلع
إمرأة شقراء
إمرأة سمراء
امراء نحيفة
طفل

(اصوات مدافع تقصف بقوة)
المرأة الشقراء: يا الهي اين يكون هذا القصف؟
الرجل الطويل: من اين لنا أن نعرف مكان القصف، نحن معزولين هنا في هذا البيت، ولا يوجد حتى راديو.
الرجل القصير: ماذا ستكون، إنها حرب، قصف وقصف متبادل مثل كل الحروب اللعينة.

المرأة السمراء: (تنظر نحو الرجل القصير) الحروب لا تتشابه حتى وإن تشابهت المدافع.

الرجل القصير: لا تتشابه، كيف؟ كل الحروب لعنات تحل على البشر.

المرأة النحيلة: الحروب لعنات على البشر! ولكنهم هم من يصنع هذه اللعنات.

المرأة السمراء: قصدت أن الحرب تجربة ذاتية يخوضها كل انسان، ويعاني منها كل فرد على طريقته.

المرأة الشقراء: (بضجر!) لا داعي لهذة الفلسفة الان، المهم بالنسبة لي أن لا تصلنا القذائف..

الرجل الاصلع: (ببعض الاستغراب) إن لم تصلنا القذائف ستصل الى سوانا.

المرأة الشقراء: هذا ممكن، لكني لا أريد أن تصل هنا.

الرجل الاصلع: يعني انت مرتاحة ما دام القصف في مكان اخر؟

المرأة الشقراء: لا يريحني طبعا، ولا اتمنى الضرر لاحد، لكني اتمنى ان يبقى القصف بعيدا عنا.

الرجل الطويل: ما تقولينه يا سيدتي أمر خطير.

المرأة الشقراء: (تردد) خطير!

الرجل الطويل: أجل بل وخطير جدا، لانك تتمنين موت الاخرين.

المرأة الشقراء: انا اتمنى موت الاخرين؟ ما هذا الهراء.

(اصوات القصف تسمع بوضوح اكثر)

الرجل الاصلع: (بهدوء) المشكلة أن كل واحد يتمنى أن لا يصلة القصف، لكن طالما هناك مدافع تقصف هناك اشخاصا

اخرين يعانون.
المرأة الشقراء: (بتأفف) لِمَ كل هذا التعليق على أمنية بسيطة. انتم تضخمون الامر كثيرا.
الرجل الاصلع: (ببعض الحدة!) لا ابدا، انها الحقيقة! هذه حرب، متى تتساقط القذائف لا بد انها تسقط فوق بيوت ما، إن ليس هنا، ففي مكان آخر.
المرأة السمراء: (أصوات القصف تسمع بوضوح أكثر!) اللعنة على الحروب.
المرأة النحيفة: اللعنة على مسببي الحروب.
الرجل الاصلع: (بجدية واضحة) اعتقد اننا نواجه الان مشكلة كبيرة؟
الرجل الطويل: عن أية مشكلة تتحدث؟
الرجل الاصلع: اعني عن ما قالته المرأة الشقراء.
الرجل القصير: ماذا تقصد؟
الرجل الاصلع: (يتوقف قليلا يعد سماع دوي قصف بعيد) أقصد أننا في أزمة أخلاقية الان.
المرأة السمراء: (ببعض الاستغراب) أزمة أخلاقية، كيف؟
المرأة النحيفة: ارجوكم، لا تضيفوا الينا مشاكل اكثر، تكفينا الحرب!
الرجل الاصلع: إن تمنينا أن لا يكون القصف عندنا، معنى هذا أن نتمناه في مكان آخر، اليس كذلك؟
الرجل القصير: اعتقد أن أنانية الانسان تزداد اضعافا مضاعفة في وقت الحروب.
الرجل الاصلع: (اصوات القصف تشتد) في هذه الحالة نحن نتمنى أن يموت الاخرون، وليس نحن.

المرأة النحيفة: (تشعر بتعاطف مع المرأة الشقراء) لا ابدا، لا اظن انها قصدت ذلك.
الرجل الاصلع: إن قصدت ذلك ام لا، مجرد تمني أن لا تصلنا القنابل، معناه أنها تسعد أن تصل الى الاخرين. (يتوقف للحظات ويوجة كلامه الى المرأة الشقراء التي تستمع، وعلامات الضيق واضحة عليها).

(متابعا) وعندما تتمنين هذا يا سيدتي، معناه انك تشاركين ضمنا في جريمة حرب صامتة.
المرأة الشقراء: (تقف من مكانها مصدومة!) يا الهي ماذا تقول، انا اشارك في جريمة حرب؟
الرجل الاصلع: (بكل هدوء) أجل يا سيدتي.
المرأة الشقراء: (تلتقط انفاسها فيما اصوات القذائف تقترب قليلا!) هذا اتهام غير مقبول
الرجل الاصلع: انها ليست تهمة، ساقول لك لماذا؟
المرأة الشقراء: (تبدو في وضع مستفز وتنتظر ماذا سيقول!)
الرجل الاصلع: إن كان ابنك يلعب في الشارع مع ولد اخر، ثم سمعت أن سيارة صدمت أحدهما، الا تتمني أن يكون إبنك الناجي؟
المرأة الشقراء: (ببرود) هذا أمر طبيعي.
الرجل الاصلع: معنى هذا انك تتمنين ان تكون السيارة قد صدمت الولد الاخر.
المرأة الشقراء: (ببعض التوتر) لا، لا ليس بالضرورة.
الرجل الاصلع: هذه هي الحقيقة.
المرأة النحيفة: (ببعض الضيق) أية حقيقة تقصد؟
الرجل الاصلع: حقيقة انانية الانسان.

المرأة الشقراء: (تبتسم بسخرية!) يا له من استنتاج غريب!
الرجل الطويل: (موجها كلامة الى الرجل الاصلع) هل تريد القول إن الانانية هي الدافع الاساسي لسلوك البشر؟
الرجل الاصلع: هذا بالضبط ما قصدته!
المرأة الشقراء: (لم تزل في وضع مستفز) هل من الانانية أن تحب الام إبنها أكثر من الاخرين؟
الرجل الاصلع: لم اقل إن عليك أن تحبي الاخرين أكثر من إبنك.
المرأة الشقراء: ماذا تقصد إذن؟
الرجل الاصلع: أقصد أن نعترف بهذا الخلل.
الرجل الطويل: (ينظرالي الرجل الاصلع) هل هذا في رايك خلل بيولوجي أم منتج اجتماعي؟
الرجل الاصلع: ايا كان الامر، هذا هو الواقع الذي لا بد من الاعتراف به.
المرأة الشقراء: (لم تزل متضايقة) أي واقع؟
الرجل الاصلع: واقع اننا انانيون الى حد تمني الأذى للاخرين.
الرجل القصير: إن كان خللا في البيولوجيا معنى هذا استحالة تغييره.
الرجل الاصلع: حتى وان استطعنا تغييره، سيقود هذا الى كارثة.
الرجل القصير: (بقلق) كارثة، لم اعد افهمك!
الرجل الاصلع: (بهدوء) الانانية ضرورة لبقاء البشر.
واختفاؤها كارثة، لكن وجودها يجلب الكوارث ايضا.
المرأة السمراء: (ترفع يديها الى اعلى) اذن ما هو الحل؟
الرجل الاصلع: لا أعرف، ربما لا يوجد سوى حل التعايش مع

هذه الحقيقة.
المرأة النحيفة: (تشير بيدها نحو الجميع) يا ناس ماذا حصل لكم، لقد ذهبنا بعيدا في الكلام.
الرجل الاصلع: لا ابدا. نحن لم نذهب بعيدا، هي التي تمنت الاذى للآخرين.
المرأة النحيفة: حسنا ماذا كان عليها أن تقول؟
الرجل الاصلع: كان بوسعها ان تقول اي شيء الا هذا.
الرجل القصير: مثل ماذا؟
الرجل الاصلع: مثل أن تتمنى ان تتوقف الحرب كلها.
المرأة الشقراء: (بدات تخرج قليلا من الصدمة) إن تمنيت أن تتوقف الحرب عن الجميع فهي أمنية صعبة التحقق، وانتم تعرفون ذلك. لقد تمنيت أمنية صغيرة قابلة للتحقق.
الرجل الاصلع: لكن الامنية الصغيرة قد تقتل آخرين، المسالة ليست بحجم الامنية بل بالفكرة القاتلة!
المرأة الشقراء: لكني لا اتحمل مسوؤلية قتل الاخرين، قل هذا الكلام لرجال المدفعية وليس لي.
المرأة السمراء: ليس من المعقول محاكمة شخص على مجرد امنية.
الرجل الاصلع: كل افكار الخير والشر تبدا بفكرة على شكل أمنية أو حلم.
المرأة الشقراء: (ضاقت ذرعا بكل الحديث) توقف عن هذا الهراء، أنا لست شريرة.
الرجل الاصلع: (بصرامة) لم اقل انك شريرة، لكنك لا تستطيعي انكار انك تمنيت الموت لاخرين.

المرأة النحيفة: (تحاول الدفاع ثانية عن المرأة الشقراء!) انها لم تتمنى ذلك، كل ما في الامر انها فكرت بسلامتها وحدها.
الرجل الاصلع: سلامتها على حساب حياة الاخرين؟
الرجل القصير: (يشعل سيجارة) هل التفكير بسلامة الذات أمر لا اخلاقي؟
الرجل الاصلع: إنه أمر اخلاقي بالطبع شرط أن لا يرتبط بفكرة أذى الاخرين.
المرأة النحيفة: ولكنك قلت إن هذا غير ممكن.
الرجل الطويل: أجل أنها اشكالية كبرى، نحن الان في وضع صعب.
الرجل القصير: (منفعلا) الافضل اذن أن نتمنى أن تصلنا القذائف لكي ننتهي من هذه المشكلة.
المرأة الشقراء: (تنظر الى الرجل القصير)، يعني انت تتمنى ان نموت هكذا بلا ادني سبب. الرجل القصير: (محاولا ضبط غضبه) أجل، لكي نخلص من هذا المازق الذي وضعتينا فيه.
المرأة الشقراء: انا لم اضعكم في أي مازق، انتم وضعتم انفسكم.
المرأة السمراء: الحرب هي التي وضعتنا في المأزق.
الرجل الطويل: لقد كنا مرتاحي البال رغم القصف أما الان فنحن في ورطة.
الرجل الاصلع: (ينظر الى الجميع فردا فردا)، اذن ما هو الحل الان، لقد بات الامر مثل الاحجية يتطلب من يحله؟
المرأة السمراء: بصراحة انا لا أعرف الحل.
المرأة النحيفة: يا ليتني اعرف الحل؟
الرجل الطويل: أنا ايضا لا أعرف.
الرجل القصير: كيف لي أن أعرف؟

الطفل يقف ويتحرك في وسط الصاله. أنا أعرف الحل، لكنكم لن تصدقوني لاني طفل.
الكل باصوات متداخلة: سنصدقك
الطفل: الحل الوحيد أن نخرج من البيت لنعرف ماذا يدور حولنا!

احاديث في زمن الحرب

المكان:
طابق ارضي يحتمي فيه عدد من المواطنين من القصف.
الشخصيات:
عادل، استاذ مدرسة شاب في حوالي الثلاثين من العمر.
ام عادل، والدة عادل. إمرأة في اواخر الستين من العمر.
الحاج مسعود، رجل طاعن في السن.
سميرة، شابة انهت للتو دراستها الجامعيه.
الشاويش، في حوالي التسعين من العمر.
ابو عرندس، صاحب بقالة. رجل في اواخر الخمسينيات يميل الى المزاح.
الجميع يجلسون في الطابق الارضي اتقاء للقصف الذي تتعرض له المنطقة من حولهم.

ابو عرندس: (يقف ويتافف) ما هذا يا جماعة. هذا الذي يقصفنا لا يرتاح ولا يدع الاخرين يرتاحون! ولا عمل عنده منذ الصباح الباكر سوى التنغيص على خلق الله!
ابو عرندس: (يتابع ولم يزل واقفا) الذي لا افهمه، هذا الرجل الذي يطلق المدفع علينا ليل نهار الا تتعب يديه؟
(تسمع ضحكات من الحاضرين)
الشاويش: آه، يتعب، كيف يتعب؟ هل تظنها مدافع عثمانية يحشو الرجال فوهتها بالبارود بقضبان الحديد!

ابو عرندس: يا لها من الالات شيطانية!

الشاويش: فعلا هي آلات شيطانية. يضغط الواحد منهم على زر، وهو يسمع الموسيقى ثم تنصب القنابل فوق رؤوسنا!

الحاج مسعود: آه، لقد تغير الزمان. لم يعد هناك فرسان يتبارزون على ظهر الخيل!

ام عادل: كان زمن الرجال حقا!

الحاج مسعود: الان صار بوسع اي خردید وهو جالس في مكان مريح أن يضغط على زر، ويدمر بلادا على مسافة الاف الكيلومترات.

أم عادل: لكم تغير العالم!

سميرة: الذي لا افهمه يا جماعة لماذا نتحارب فيما بيننا؟

الحاج مسعود: الدول الكبرى تلعب بنا كما تشاء. وعندنا من الحمقى والجهلاء كفاية.

الشاويش: لم يعد احد يفهم لماذا هذه الحرب اللعينة.

عادل: من قال اننا لا نعرف السبب؟

الشاويش (متساؤلا): انت تعرف السبب؟

عادل: أجل، السبب هو الطمع!

الحاج مسعود: أي والله معك حق!

سميرة: انا أعتقد أن الانانية هي السبب، سواء عند الحكام او المعارضة!

عادل: الانانية والطمع هما ذات الشيء.

سميرة: (متابعة) أظن أن الانانية هي السبب، والطمع هو النتيجة.

أبو عرندس (بتذمر): الان بدأنا نضيع!

سميرة (تتطلع الى ابو عرندس): لا، الامر واضح. مثلا الكرم هي صفة أو حالة لدى الشخص، أما البذل والعطاء فهي النتيجة لحالة الكرم.

ابو عرندس: لكن يمكن أن يكون هناك شخص كريم الطبع، لكن لا يملك الامكانية لممارسة كرمه ومع ذلك نصفة بأنه كريم!

سميرة: هذا ما اردت قوله. الانانية هي نمط التفكير والطمع هو الممارسة.

الحاج مسعود: هل معنى ذلك الاناني لا يمارس دوما انانيته؟

عادل: الامر مرتبط بالظروف كما اظن. متى تهيات الظروف وارتبطت بعوامل مثل حب السلطة فان الامر يتجاوز حالة فرد واحد!

الحاج مسعود: كيف؟

عادل: قصدت أن الانانية متي ارتبطت بعوامل اخرى مثل الاعتقاد بامتلاك الحقيقة تصبح كارثة!

سميرة: أظن أن الفصل بين الامرين ليس سهلا في الحياة، لكنه ممكن فقط على الصعيد النظري فقط.

عادل: في هذه الحالة دعنا نقول ان هناك توازيا بين الامرين.

سميرة: (ليست متاكدة أن الامر تماما هكذا، لكنها لا ترغب في الاستمرار بان تذهب في النقاش بعيدا) اجل، ربما توجد حالة توازي ما بين الامرين.

الشاويش: قرأت مرة أن البشرية في تاريخها لم تعرف السلم سوى ثلاثة الالاف عام فقط من عمرها، هل كل ذلك بسبب الطمع؟

الحاج مسعود: (يرفع عصاة ليؤكد كلامه) هو البلاء الاكبر!

عادل: والطريف في الامر أن الطمع لا يكون عادة الا عند الاقوياء!

أبو عرندس: ماذا تقصد، ألا يوجد الطمع لدى الضعفاء ايضا؟ هل رجال المدفعية الذين يقصفوننا الان من اصحاب الملايين؟

الشاويش: (ينظرالي ابو عرندس وهو يبتسم) بل فقراء مثلنا، لكنهم ينفذون أوامر اصحاب الملايين.

سميرة: أعتقد أن الانانية لا علاقة لها بفقير او غنى.

الحاج مسعود: أنا أيضا أعتقد ذلك، لكن نتائجها تكون اسوأ حين تمارس من الاقوياء.

عادل: هو كذلك، القوي يريد أن يصبح أقوى، والغني يريد أن يصبح أغنى!

الشاويش: (يتابع على ذات النغم)، والفقير يصبح أفقر!

عادل: (هازا براسة موافقا) هكذا المعادلة!

ام عادل: (بدات تتابع اكثر): لا افهم لماذ يريد الاغنياء سرقة الفقراء، هل فقط بسبب الطمع!

ابو عرندس: (مشيرا الى بطنه)، معك حق يا ام عادل، عندهم كل شيء لكي يشبعوا. لِمَ لا يدعوا الاخرين يعيشون؟

عادل: دعني افسر. تخيل رجلا يجلس على طاولة عليها كل انواع الطعام، ومقابله رجل يجلس يأكل سندويشا من الفلافل، السؤال من الذي يجب أن يطمع بالاخر؟

سميرة: المنطق يقول إن صاحب سندويش الفلافل الفقير هو من يجب أن يطمع بطعام الاخر.

الشاويش: هذا كلام منطقي.

عادل: لكن الحقيقة ليست كذلك، صاحب الطاولة المليئة بالطعام من يطمع بالاخر.

ام عادل: الان بدات لا افهم عليكم!

عادل: فكرت في هذا عندما كنت في باريس. قلت في نفسي ما الذي جعل نابليون يترك كل هذا العز والغني في بلده، وياتي الى فلسطين ليحتلها في وقت كان الناس بالكاد لا يجدون صحن مجدرة ليأكلوا.

ابو عرندس (مستفهما) تريد أن تقول إن الدول الكبرى تحرك الجيوش والاساطيل وتشن الحروب من أجل سندويش فلافل!

عادل (ضاحكا)، لا طبعا، المسألة أكثر تعقيدا من هذا.

الشاويش: الدول الكبرى لم تصبح كبرى الا بالسرقة.

الحاج مسعود: يسلم فمك يا شاويش، انه كذلك فعلا.

ابو عرندس: ما زلت لا افهم، ماذا يستفيدون من القوة، هل يستطيع الواحد منهم أن يرتدي بنطلونين بدلا من واحد، أو أن يكون له معدتين ليأكل اكثر؟

عادل: اعتقد أن فكرة الهيمنة على الاخرين لا علاقة لها دائما بالمصالح المادية.

سميرة: (تحاول تغيير الموضوع) من الصباح ونحن نتناقش والقصف حوالينا، متي ننتهي من هذه الحرب اللعينة؟

الحاج مسعود: لا ننتهي الا حين يتفق رجال السياسة.

أم عادل: وإن لم يتفقوا هل نظل نعيش هكذا نركض من ملجأ الى ملجأ؟

عادل: أي، معك حق، يبدو أنه قدرنا!

الشاويش: (يقف مستفزا) لأي قدر لعين هذا. منذ أن عرفت الحياة، ونحن من حرب الى حرب وعندما نحتج يقولون هذا قدرنا. الا يوجد مكان للقدر اللعين أن يسرح ويمرح الا في بلادنا.

(تبدأ القذائف تتساقط على مقربة منهم. يتوقف الكلام، وتستمر قذائف المدفعية تسقط قريبة منهم. يقتربون من بعضهم البعض لكي يسمعوا بعضهم البعض).

الحاج مسعود: اظن أن القذيفة الاخيرة سقطت غير بعيدة عن مبني البلدية.

ابو عرندس: يا الهي ما أسرعهم في تصويب المدافع.

الشاويش:. الامر لا يتطلب سوى حركة بسيطة ويغيرون اتجاه القصف.

الحاج مسعود: المضحك المبكي أن كل فريق يقول انه يحارب من اجل الشعب.

ابو عرندس: الم يعد هناك عقلاء؟ انهم يدمرون الشعب والوطن.

عادل: لا اعرف ان بقي عندنا عقلاء. بعد وقت لن يبقي لا وطن ولا شعب.

الشاويش: عندها سيصبحون حكاما على المقابر.

ام عادل (ترفع يديها): يا رب نجّنا من هذه الحرب اللعينة.

سميرة (بحسرة): الذي اسألة دوما، متى يأتي الخلاص؟

عادل: (وقد اشتد القصف اكثر واكثر) لا أحد يعلم متى يأتي الخلاص. نحن في دوامة لا احد يعرف كيف نخلص منها. المهم أن لا نفقد الأمل.

الوحش قادم!

الصراخ يعلو المكان والقوم ماضون في غابة مظلمة، ولا يعرفون اين يتجهون. قيل لهم ان وحشا لم يُر في مثل شراست سيهاجم القريه. لذا غادر الجميع بشيبهم وشبانهم واطفالهم ونسائهم نحو الغابات هربا من الوحش.

الجميع مرتبك، ولا يعرفون ما يفعلون سوى السير في غابة معتمة لا ضوء فيها.

يطلب مختار القرية من الجميع التوقف للاستراحة بعد ايام من سير انهك قواهم.

وقد بدات النسوة والاطفال يبكون بحرقة على ما وصلوا اليه من وضع يائس. ينهض من الجموع رجل عجوز ذو لحية بيضاء تكاد تغطي وجهه، يقال له ابو يوسف الزاهد، يتحرك ببطء بين الجموع ويقول بصوت جهوري:

لا تقلقوا لذرف الدموع
ولدتم والدموع بدايتكم
وعندما ترحلون ترافقكم
دموعكم مخلصكم
نهركم المقدس، الذي يطهر ارواحكم
من خطاياكم!

(تتقدم منه إمرأة في منتصف العمر اسمها ضوء الصباح):

كيف تقول هذا ايها الزاهد؟

اين خطايانا؟
كي نغسل ارواحنا
اطفالنا يبكون وقد جفت اضرعنا
ونحن نبكي حالنا

الزاهد:
الخطيئة لم تولد معهم
هم ولدوا في الخطيئة
المحيطة بهم وبكم
وهي معكم
اينما كنتم وتوجهتم

(يتقدم مختار القرية)
ايها الزاهد
نحن قرية مسالمة
لم نؤذ احدا
ثم تقول لنا الخطيئة
تحيط بها
انت تظلمنا

الزاهد: (بصوت منخفض نسبيا)
انتم في مركب في البحر
الريح تهب من كل صوب
تارة من الشمال، وتارة من الجنوب

وهكذا حياتكم وخطاياكم
رياح هادئة، واعاصير ترافقكم

(تتقدم منه إمرأة شابة تحمل طفلا):
ما العمل الان ايها الزاهد؟
ابني يتضور جوعا
والليل بارد والغابة مظلمة
والوحش في قريتنا
ونحن وحدنا

الزاهد:
توقفوا عن هذا الهراء
لستم وحدكم
افكاركم معكم
واحلامكم معكم
ومن يملك الحلم
يملك الامل
(ينهض رجل اعرج كان يعمل صياد سمك):
ايها الزاهد
تقول الامل
أين هو؟
إنه سراب لا نراه
نحن نهيم على وجوهنا
نحن ضائعون.

الزاهد:
لانكم فقدتكم بوصلة الحياة أنتم ضائعون
وما عليكم الا أن تنشروا شباككم
في قعر ذواتكم
لتجدوا ذواتكم
فمن غيرها لا مستقبل لكم

تنهض إمرأة عجوز:
بوصلة الحياة
اين هي في هذا الظلام؟
هل نسيت اين نحن؟
واين وصلنا؟
وما حل بنا

(يتقدم اسكافي القرية):
ايها الزاهد
نريد حلا
الكابة تقتلنا
احزاننا فاضت
ونحن في قلب الظلام

الزاهد: الحل بيدكم انتم
ان بقيتم غير متصلين بذواتكم
لن تصلوا غايتكم
لقد حل اوان الوصل

لقد سافرتم بعيدا خارج ذواتكم

(يتقدم نجار القرية):
اخبرنا ايها الزاهد
كيف الوصل
كيف نعود لذاتنا
وقد بتنا مشردين؟

الزاهد:
انتم مشردون من المكان
ولكن ليس من القرية
القرية هي انتم
ومعكم ولكم
ولن تفقدوا القرية
ان اتصلتم مع ذواتكم

(يتقدم شيخ الحراثين نحو ابو يوسف الزاهد):
ماذا تقول ايها الزاهد؟
قريتنا صارت بعيدة
وقبور اسلافنا هناك
وكل يوم نبتعد اكثر
وآلامنا تزداد

الزاهد:
قبور اسلافكم ليست في الارض
انها في ذاكرتكم
فكلما احتجتم لهم
احفروا في الذاكرة تجدونهم.

(يتقدم شاب في عشرينيات العمر)
ماذا افعل ايها الزاهد؟
احب صبية وتحبني
وكنا نريد الزواج قبل مجيء الوحش
اما الان فقد فنحن حائرون؟

الزاهد (ينظر الى الشاب) ويقول، اين الصبية؟، دعها تأتى
(الشاب ينادى، تعالي يا وردة المساء. تتقدم فتاة من وسط الجموع)
الزاهد يتوجه لوردة المساء
هل تحبين هذا الشاب؟
- نعم ايها الزاهد
وانت ايها الشاب هل تحبها؟
- نعم ايها الزاهد
الزاهد: اذن سازوجكما
الشاب (مستغربا) كيف نتزوج في الغابة المظلمة؟ وكيف نتزوج ونحن بعيدون عن القرية؟
الزاهد: القرية صارت بعيدة
لكن الفكرة باقية معكم

ولانكم في الغابة المظلمة
لا توقفوا افراحكم
اقيموا السدود
لكي لا تغرقهم شلالات اليأس
وافرحوا وابتهجوا
واقيموا الجسور
لانهار المحبة بينكم
اضيئوا الغابة بنور امالكم
واجعلوا آلامكم طاقة لانتاج المحبة
وكل ضوء يولد من أمل
يبدد بعض العتمة من الغابة
ومن قلوبكم
الان أمام الله
وأمام اهل القرية، انتما زوجين!

(يقف ابو يوسف الزاهد وينظر الى اهالي القرية فردا فردا):
انا ابو يوسف الزاهد
انتم لا تعرفوني لكني اعرفكم
اعرف جداول احزانكم
اعرف اخاديد الالامكم
وأعرف احلامكم
قبل أن أولد
في مساء ربيعي
مرت غيمة فوق القرية
فولدتني أمي في صباح ممطر

كان مطرا مدرارا
كانت دموع أمي حليبا رطبا.

قالت الغيمة:
خزنوا القمح والزيت والملح
ستهب الاعاصير
لثمانين يوما متواصلة
لن تخرجوا من بيوتكم
وفي اليوم الحادي والثمانين
تشرق الشمس
وتحل أولى زهور الربيع
في ذلك اليوم
سمعت أمي صوتا يقول
اغسلي الطفل من عيون الدمع المنهمر
لكي تذهب جبال الخوف من قلبه
ولكي يكون في قريتكم
من يهزم الوحش
في الازمنة القادمة
يا ابناء قرية عين الضياء
يظهر الوحش
عندما ينام الرعاة
الرعاة هم عقولكم وضمائركم
فايقظوهم
هيا حرروا انفسكم بانفسكم
واهزموا الوحش الذي في داخلكم

الذي يفترس احلامكم
وعودوا الى قرية عين الضياء
الى قريتكم
وازرعوا في حقولها
اقواس قزح!

لاجل مجد كنعان

اهدي هذه المسرحية لروح الملكة الكنعانية بيعيليت، ولكافة سكان المملكة الكنعانية التي قضوا موتا وهم يدافعون عن مملكتهم الصغيرة.

مقدمة تاريخية:

تعتمد المسرحية على حدث تاريخي. قبل 3500 سنة هاجم الغزاة البدو العبرانين المملكة الكنعانية بقرب القدس الحاليه. سعت الملكة بيعيليت الى طلب مساعدة عسكرية من مصر، التي كانت تغرق وقتها في صراعات اهلية ايام الفرعون اخناتون، لكن المساعدة لم تصل. كان على الملكة بيعيليت ان تواجة الغزاة البرابرة بجيشها الصغير. قام الغزاة العبرانيون بتدمير المملكة الصغيره، وقتل كافة سكانها من اطفال ورجال ونساء، كما دلت الحفريات التي اجريت في موقع المملكة الصغيرة.

المكان: مملكة كنعانية بقرب القدس الحالية
الزمان: حوالي 1330 قبل الميلاد
الشخصيات:
الملكة بيعيليت
الوزير اداد
قائد الجيش كنعان
كبير كهنة الالة بعل
كاتب رسائل المملكة
هيلما
بالدو

الموفد العبري

المشهد الاول:
تفتح الستارة ونرى الملكة تجلس على كرسي العرش وعلى رأسها تاج المملكة
يدخل الوزير اداد الى قاعة العرش. ينحني ويقول: صباح الفرح يا ملكة كنعان
الملكة: صباح الفرح وزيرنا المخلص، كيف اخبار البلاد؟
الوزير اداد: علي احسن حال يا مولاتى، الزهور تزين بيوت المملكة. ينابيع مملكتنا تهبنا مياة عذبه. حقولنا تنتظر موسم الحصاد، وكرومنا تضج بالفواكه، وقوافلنا في كل مكان!
الملكة: اين ذهبت القوافل؟
الوزيراداد: لمصر وبلاد العرب وبلاد فارس وبلاد الهند.
الملكة: اخبار سارة يا وزيرنا المخلص.
الوزير اداد: أجل مولاتي.
الملكة: وكيف وضع مخازن الحبوب؟
الوزير اداد: موسم الحصاد اقترب. وحصادونا جاهزون ليملاوا الاهراءات بالقمح.
الملكة: اخبار سارة وزيرنا المخلص. وكيف اخبار معبد الهنا العظيم بعل؟
الوزيراداد: انهينا من بناءة يا مولاتى!
الملكة: (يبدو الفرح على وجهها لسماعها هذه الاخبار) رائع وزيرنا المخلص، كم شخصا يتسع المعبد؟
الوزير اداد: عشر مائة شخص يا مولاتي.
الملكة: (تنفرج أسارير الملكة وتتحرك يمينا وشمالا ثم تلقي نظرة عبر النافذة وتلتفت ثانية) لقد قمتم بعمل عظيم! أتضرع الى الإله بعل ليحمي مملكتنا.

الوزير اداد: أجل مولاتي
الملكة: متى يبدأ الاحتفال بافتتاح معبد الإله بعل؟
الوزير اداد: غدا يا مولاتي عندما تتوسط الشمس كبد السماء.

المشهد الثاني:
جموع فرحة من الناس تملأ جدران معبد الإله بعل. لدى وصول الملكة يقوم ضاربو الابواق بالعزف. يتقدم كبير كهنة المعبد من الملكة، ويرافقها الى داخل المعبد. تجلس الملكة في الكرسي الاول على مقربة من كاهن المعبد. ويقوم خدم المعبد برش البخور. ويبدأ الكاهن الاكبر بالصلاة:
أيها الإله بعل نصلي اليك بحرارة
لتحمنا من شر الايام المقبلة
نتضرع اليك
احفظ الملكة بيعيليت وشعبها
لنبقي هانئين في مملكتنا
الحياة جميلة في مملكة كنعان
الكل يعيش بامان
لا أحد يسرق خبز أحد
ولا أحد يظلم أحد
جيش بلادنا صغير
يحرسنا ونحن نائمين
فلتعش ملكتنا العظيمة
وليدم مجد كنعان!
يقف الجميع مرددين بصوت واحد: فليدم مجد كنعان
(بعد توزيع الحلوي والشراب يبدا الشعب بالرقص والغناء ثم يضرب عازفوا البوق من جديد وتغادر الملكة المكان)

المشهد الثالث:

يظهر قائد الجيش كنعان وهو يطرق على باب القصر طرقات سريعه. رئيس الحرس يبلغ الملكة ان قائد الجيش يريد التحدث معها على عجل
يدخل قائد الجيش كنعان والملكة تنتظره جالسة على كرسي العرش.
قائد الجيش كنعان: صباح الفرح مولاتي!
الملكة: صباح الفرح قائد جيشنا.
قائد الجيش كنعان: عفوا مولاتي الامر مستعجل.
الملكة: ما الأمر؟
قائد الجيش كنعان: أخبار غير مطمئنة.
الملكة: قل ما عندك.
قائد الجيش كنعان: العبرانيون يا مولاتي.
الملكة: ما بهم؟
قائد الجيش كنعان: إنهم يجتاحون وقد سمعنا أنهم دمروا عدة ممالك كنعانية.
الملكة: كيف عرفتم؟
قائد الجيش كنعان: من الناجين ممن وصلوا المملكة.
الملكة: هل هناك أخبار اخرى؟
قائد الجيش كنعان: أخبار غير سارة.
الملكة: ما هي؟
قائد الجيش: علمنا ان الغزاة العبرانيون قاموا بضرب اولاد الملك ميليكيو حتى الموت.
الملكة: (بدهشة وصدمة) حقا ما تقول؟
قائد الجيش كنعان: وهناك اكثر!
الملكة: ماذا! اهناك اسوأ؟
قائد الجيش كنعان: علمنا ان الغزاة ارسلوا رسائل تهديد للملك عجلون وزوراه، وربما يكونا قد اجتاحوا مملكتيهما.

الملكة: (لم تزل تحت الصدمه) يا الهى! ما العمل يا قائد جيشنا؟
قائد الجيش كنعان: علينا ان نستعد للحرب.
الملكة: وهل نحن قادرون على ايقافهم؟
قائد الجيش كنعان: (بحزن) لا يا مولاتى! لا نملك جيشا كبيرا كما تعلمين.
الملكة: (تنهض الملكة من على الكرسي وهي على شيء من الوجوم) ما العمل الان؟
الوزير اداد: نحن رهن اومرك يا مولاتي!
الملكة: (بعد لحظات صمت وتفكير) دعنا اذن نرسل رسالة عاجلة لاخناتون فرعون مصر لطلب المساعدة، وانت جهز الجيش للحرب!
الملكة: (بصوت عال) فليأت كاتب رسائل المملكة في الحال.
(يحضر كاتب الرسائل وتطلب منه الملكة ان يجلس)
كاتب المملكة: نعم مولاتي
الملكة: اكتب ما اقول
(يجلس ليكتب على لحاء من ورق البردي)
من الملكة الكنعانية بيعيليت الى اخناتون فرعون مصر العظيم! إلي الملك الهي وشمسي. انحني على أقدام الملك سبعة مرات. أريد ان اخبر الملك ان هذه البلاد تشهد أعمالا عدوانية. وان بلاد الملك يا سيدي قد تفقد الى الأبد!
الغزاة العبرانيون يقتربون منا وقد قتل كل من وقف في طريقهم. نرجو منكم ان ترسلوا لنا مساعدة عسكرية عاجلة، والا فمصيرنا الدمار!
الملكة (الى قائد الجيش كنعان): تاكد من كتابة ثلاث نسخ لضمان وصول واحده، وارسلهم مع اشجع رجالك. هيا! دع المبعوثين ينطلقوا في الحال!
قائد الجيش كنعان: (ينهض) أجل يا مولاتي!
(يغادر قائد الجيش كنعان وتبقي الملكة لوحدها وقد بدت

مهمومة).

المشهد الرابع:
هيلما وبالدو يلتقيان وهما قادمين من السوق..
هيلما يبادر بالتحية.
كيف انت يا بالدو لم ارك منذ يومين؟
بالدو: شكرا هيلما انا جيد. لكنني كنت في الايام الاخيرة في غاية الانشغال
هيلما: اصمت يا رجل انت دوما كهذا.
بالدو: لا يا صديقي. الامر مختلف هذه المرة..
هيلما: كيف؟
بالدو: اسمع.
جاءني شاب وطلب مني أن أسرع في بناء منزل له. قال إنه سيتزوج قريبا.
قلت حسنا سابدا غدا! وعلمت في ذات اليوم من جارنا، أن الشاب يحب الفتاة، وكان يحضر لها وردة من الحقل!
هيلما: ماذا اسمع! هل هذا صحيح؟ يحضر لها وردا! اين وصلنا هذه الايام؟
بالدو: أي، يا صديقي الدنيا تغيرت! شباب اليوم ليسوا مثلنا يختار لهم الاهل العروس
هيلما: يا للخجل، لم يعد احدا يقيم وزن لعادات كنعان!
بالدو(مبتسما): اراك صرت تتحدث مثل رجل في التسعين من عمره. لكن انتظر حتى تسمع باقي القصة.
هيلما: اكمل
بالدو: لما شرعت في البناء جاء والد العروس وزوجته. بدات المرأة السمينة بالثرثرة فوق رأسي. افعل كذا وكذا. تحملتها في البداية. ولما لم اطق ثرثرتها، قلت لها اليس من الافضل أن تعمري البيت مكاني؟

هيلما: لكن ماذا قال زوجها؟
بالدو: اعانه الله على هذه المرأة الأريحية.
هيلما: هي من كنعانيات اريحا؟
بالدو: أجل!
هيلما: عملت هناك حطابا لعامين. كنعانيات اريحا مثل الرجال يجادلون في كل شيء!
بالدو: المصيبة اني ما كدت انتهي، حتى جاءت والدة العريس، ولم يعجبها ما عمرت. وقفت هكذا (يقلد بالدو حركاتها وهو يضحك) وصارت تتحدث كالآمر الناهي، وتقول انها تريده أجمل بيت في المملكة!
هيلما: آه، يا صديقي أحسدك على هذا الصبر.
بالدو: صبر! كدت اطق يا صديقي، لكن ماذا افعل كان لا بد من أن أنهي العمار اللعين!
هيلمنا: كل شيء يتغير هذه الايام!
بالدو: أجل نحن نعيش في عصر السرعة. عصر العربات ذات الدواليب.
هيلما: تعال لزيارتنا يا رجل.
بالدو: أجل فلنقل غدا.
هيلما: أهلا بك!
(يذهب كل منهما في طريقه)

المشهد الخامس:
(يعلن رئيس الحرس قدوم الوزير اداد)
(يدخل الوزير، وقد بدا عليه القلق)
الوزير اداد: السلام على مولاتي.
الملكة: السلام على وزيرنا. ما الاخبار؟
الوزير اداد (بقلق): موفد من الجيش العبري يريد مقابلتك
الملكة (بدهشة!): موفد عبري! ماذا يريدون؟

الملكة (تبدو غارقة في التفكير، وتظل جالسة على كرسي العرش): دعهم يدخلون!
(يدخل شخصان قصيران وملتحيان حاملين سيوفهما وقد بدت القذارة على ملابسهما)
احدهما: السلام على الملكة!
الملكة (وهي لم تزل جالسة على كرسي العرش) :هل جئت حقا بالسلام؟
الرجل العبري (ببعض الارتباك): جئت لانقل لك رسالة من جيشنا.
الملكة (بلهجة حازمة): رسالة انذار
الرجل العبري: أجل!
الملكة: قل ما عندك؟
الرجل العبري: جيشنا زاحف نحو مملكتكم، وغرضنا احتلال مملكتكم، واي مقاومة من طرفكم تعني الموت لجميعكم!
الملكة: (ببعض السخرية) تريدون احتلال مملكتنا وان لا نقاوم!
الرجل العبري: هذا افضل لكم
الملكة (بحزم): قل لقائد جيشك اننا سنقاوم.
الرجل العبري: ولكن جيشكم صغير وضعيف.
الملكة: جيشنا صغير لكن ارادتنا كبيرة.
الرجل العبري: لكنكم ستموتون.
الملكة: سنموت في وقت من الاوقات، والافضل أن نموت ونحن ندافع عن بلادنا.
الرجل العبري: هل عرفتم ما حل بالممالك التي قاومتنا؟
الملكة: نعرف ولكننا سنقاوم!
الرجل العبري: هل هذا اخر كلام عندكم؟
الملكة: هذا ما عندي ويمكنك الانصراف. (انصرف الموفد العبرى، ويبقى الوزير اداد).
الملكة: وزيرنا اداد، ادعو الشعب غدا في ساحة المملكة لاتحدث

اليهم!
الوزير اداد: متى يا مولاتي؟
الملكة: في وقت شمس منتصف النهار.
الوزير اداد: امرك يا مولاتي
(ينصرف الوزير اداد فيما تظل الملكة جالسة على كرسي العرش وهي غارقة في التفكير).

المشهد السادس:
أهل المملكة رجالا واطفالا ونساء اجتمعوا في الساحة. ثم تبدأ فرقة موسيقى المملكة تقرع الطبول ترحيبا بقدوم الملكة.
تعزف الطبول مرة ثانية ثم تبدأ الملكة بالكلام:
عشنا معا وتقاسمنا الخبز والملح معا. ضحكنا معا وبكينا معا وزرعنا الارض معا وحصدناها معا وغنيا معا في المواسم وتضرعنا الى الإله بعل معا. الآن حان الزمن الصعب. حان وقت الفراق!
انا بعليت ملكتكم اخاطبكم اليوم، والعبرانيون قادمون لقتلنا، واحتلال مملكة كنعان. ولكن مملكة كنعان الصغيرة ستقاوم! قلوبنا مشرعة لكل من يسالم، وسيوفنا مشرعة لكل من يهاجم. نعرف أن الاعداء اقوى منا. ونعرف ان مصيرنا سيكون الموت، لكن بعليت قررت ان تقاوم حتى الموت. فهل انتم معي؟
الشعب بصوت واحد: نحن معك يا بعليت.
الملكه: فلنردد جميعا، فليدم مجد كنعان!
الشعب كلة يردد: فليدم مجد كنعان!
الملكه. الوداع يا شعبي حان وقت الاستعداد للقتال!
(تغادر الملكة وسط قرع الطبول

المشهد السابع:

(الملكة بعليت في قصرها تتحدث مع الوزير اداد)
اخبرني يا وزيرنا اداد، لقد مضى يومان، الم تسمع اخبارا من رسلنا الى مصر؟
الوزير اداد: لا يا مولاتي
الملكة: ماذا يعني هذا؟
الوزير اداد: لا نعرف يا مولاتي ماذا حصل؟
الملكة: هل من المعقول أن أحدا لم يوصل الرسالة؟
الوزير اداد: أمر محير!
الملكة: هل فكرت ما قد يكون السبب؟
الوزير اداد: أما ان تكون وصلت الرسالة لاخناتون ولم يجب. أو أنه يستعد لارسال قوات لمساعدتنا، أو أن لا تكون قد وصلت اي رسالة.
الملكة: لكن كيف؟ هل من المعقول أن أحدا من الثلاثة لم يستطيع ايصال الرسالة؟
الوزير اداد: ربما وقعوا جميعا في أسر العبرانيين. من يدري؟
الملكة: هل من المعقول أن يتم اسرهم جميعا وقد ذهب كل في إتجاه؟
الوزير اداد: أمر محير يا مولاتي!
الملكه: الالهة وحدها تعرف ما قد حصل!
الوزير اداد: فعلا يا مولاتي لاننا اخترنا خيرة رجال مملكتنا. لكن يا مولاتي..
الملكة: (تقاطع) ماذا؟
سمعنا اخبارا غير مطمئنة من مصر.
الملكة: ما هي؟
الوزير اداد: سمعنا ان هناك حربا اهلية.
الملكة (بقلق)! متاكد؟
الوزير اداد: اجل يا مولاتي عادت اليوم قافلة لنا من مصر،

وقالوا ان الفرعون اخناتون في صراع مع كهنة معبد امون.
الملكة: اخبار غير سارة.
الوزير اداد: يبدو الامر هكذا يا مولاتي!
الملكة: (تقف صامتة وهي تفكر) لا بد ان نواجه قدرنا ونقف في وجة العبرانيون لوحدنا.
اذهب الان يا وزيرنا المخلص، وارسل لي فورا قائد الجيش كنعان.

المشهد الثامن:
يدخل قائد الجيش كنعان وهو يحمل سلاحه.
امرك يا مولاتى.
الملكة: كيف وضع الاستعدادات؟
قائد الجيش كنعان: نقوم بما نستطيع واكثر.
الملكة: ماذا فعلت حتى الان؟
قائد الجيش كنعان: اجتمعت مع قادة المائة وشرحت لهم الوضع!
الملكة: وكيف معنوياتهم؟
قائد الجيش كنعان: عالية جدا يا مولاتي، والجميع على استعداد للموت دفاعا عن المملكة!
الملكة: ماذا عن التحصينات؟
قائد الجيش كنعان: قمنا بسد كافة الثغور بالصخور، وقد شاركنا الاهالي الذين اندفعوا للمساعدة.
الملكة: فيبارك الاله بعل اهالي مملكتنا.
(تتوقف لحظة) هل هناك اخبار جديدة عن العبرانيين؟
قائد الجيش كنعان: سمعنا انهم كانوا في اريحا، وقد هاجموا المدينة وقتلوا كل سكانها
الملكة (بقلق): أذن لا بد انهم في الطريق الينا.
قائد الجيش كنعان: أجل، هذا ما وصلنا من أخبار.
الملكة: هل فكرتم في اجلاء السكان وارسالهم خارج المملكة؟

قائد الجيش كنعان: فكرنا يا مولاتي، لكن لا احد يريد الرحيل عن المملكة.
الملكة: لماذا؟
قائد الجيش كنعان: قالوا سنموت مع الملكة للدفاع عن مملكة كنعان.
الملكة: (مطرقة برأسها) آه، لقدرك يا بلاد كنعان! منذ الازل تاريخك موت وقيامة!
ما هي الخطة التي وضعتوها للدفاع؟
قائد الجيش كنعان: خطة واحدة!
الملكة: ما هي؟
قائد الجيش كنعان: نتحصن في مواقعنا ونقاتل حتى الموت من اجل مجد كنعان.
الملكة: احضروا لي ملابس الحرب!

خاتمة تاريخية:

من الصعب معرفة التفاصيل المتعلقة بما حصل في ذلك اليوم الرهيب. لكن من خلال الحفريات يمكن معرفة ان المملكة الصغيرة قد دمرت تماما وقتل كافة سكانها. كما من الصعب معرفة مصير الملكة بعيليت لكن على الارجح ماتت وهي تدافع عن مملكتها.

السفينة تغرق!

المكان: غابة كثيفة لا تكاد تصلها الشمس
الزمان: من المراحل السوداء من تاريخ العرب!
الاشخاص: الرئيس. رجل أول، رجل ثان. إمرأة تحمل طفلا. عجوز منحني الظهر. إمرأة عجوز أولى. إمرأة عجوز ثانية. شابة اسمها ليلى. شابة ثانية اسمها أمل.

الرجل الاول موجها كلامه للرئيس: مضى وقت طويل ونحن نسير في غابة كثيفة الاشجار، لا نرى فيها الشمس. اخبرنا ايها الرئيس، الى أين نحن ذاهبون؟
الرئيس: (القلق باد على وجهه) لا أعرف الى أين، ولا أملك خارطة للطريق. نحن نسير على غير هدى، عسى أن نخرج من هذه الغابة المظلمة!
رجل ثان: ولكن أيها الرئيس، كيف نمشي في غابة لا نعرف كيف نخرج منها؟ أول أمس عندما أكل حيوان بري أحد الصغار، قلت لنا إن الفرج قادم قريبا. أين هو الفرج أيها الرئيس؟ الكل يسأل ذات السؤال؟
إمرأة تحمل طفلها: أطفالنا جاعوا، ونحن نصنع لهم طعاما من لحاء الشجر. انظر الى طفلي، لم يعد عنده ماء ليصنع منه الدمع، فقد جفت مآقيه مثل بحيرة هاجمها الجفاف فتبخر ماؤها. اخبرنا هل توجد طريقة لكي ننجو من هذا الوضع؟

عجوز منحني الظهر: انكسر ظهري وانا امشي في هذا الحر الشديد القسوة!
نحن هالكون لا محالة؟ دعنا أيها الرئيس نرتاح بعض الوقت. فقد تقرحت اقدامنا؟
(الجميع بقولون بصوت واحد): أجل أيها الرئيس، دعنا نرتاح
الرئيس: (مفكرا بعض الشيء): حسنا ان كنتم تودون ذلك، فتعالوا لنرتاح بعض الوقت.
تنفرج اسارير الجمع ويقولون بصوت واحد: شكرا ايها الرئيس!
ينظر الرئيس حواليه ويتوجه الى الجمع قائلا:
أيها الشعب دعنا نقضي الليل هنا، فالمكان على ما يبدو آمن.
(يتوقف الجميع وقد كانو ينتظرون بلهفة ان يسمعوا هذا الكلام بعد مسيرة اسابيع طويلة)
(ينهمك الرجال باشعال نار لاجل شواء الارانب البرية التي اصطادوها. وتبدأ النسوة بالعمل لتحضير الطعام وبعد تناول الطعام يشعر الجميع بالانتعاش).
ينهض الرئيس ويعلن: الان نريد أن نسمع أغانٍ جميلة، هيا، من منكم يريد ان يغني؟
تشير المرأة العجوز الاولى الى فتاة بجانبها في حوالي العشرين من العمر اسمها ليلى. تقول العجوز موجهة كلامها للرئيس:
صوت ليلي جميل وشجي، لكنه صوت لا يغني سوى الاغاني الحزينة. فهل تقبلون سماع صوتها؟
الرئيس: دعنا نسمع!
(تنهض ليلي وتبدأ الغناء)
أرى سفينة بلادي تغرق
أرى الناس يركضون في كل اتجاه

أرى الحزن على وجوه الاطفال
يحملون العابهم ويركضون
أسمع صراخ الاستغاثة
يخترق قلبي
وأرى الامواج العاتية وهي تضرب بقوة
أيتها الاحزان القادمة
والاحزان التي تنتظر دورها لكي تأتي
أيتها الورود التي أجلت براعمها
أيها الرب القابع هناك ينظر لاحزاننا
آه كم نحتاج لنقطة ضوء
ولو في حجم شمعة!

(تتوقف ليلي عن الغناء وقد خيم الصمت على الجميع)

الرئيس مخاطبا ليلى: من اين لك بتلك الاغنية؟

كانت تغنيها جدتي، واخبرتني انها سمعتها من جدتها.

الرئيس: يعني انها اغنية من الازمنة القديمة.

ليلي: هذا ما قالتة جدتي.

الرئيس (متطلعا الى الشعب): الان نريد أن نسمع أغنية أخرى، ونرجو أن لا تكون أغنية حزينة. فمن يملك أغنية فرحة؟

إمرأة عجوز ثانية: (أمل) أيها الرئيس، كنت دوما اسمعها تغني في زمن الافراح.

الرئيس مناديا وهو ينظر الى الجمع: أين أنت يا أمل؟ نريد منك أن تغني لنا اغنية فرح؟

تنهض من بين الجموع شابة سمراء في اوائل العشرين من العمر، وتقول: انا اسمي أمل، وساغني لكم هذه الاغنية:

يا وردة الطيون امنحينا شذاك.

يا وردة الطيون العطرة
ايتها النقية مثل ثلوج الجرمق
وبهية مثل إمرأة من يافا
انثري عطرك فوق الروابي المقدسة
عند بزوغ نجمة الصبح المباركة
حين نستيقظ فرحين
ونمضي الى الحقول
في صباحات نيسان
قوس قزح يلون الطيور
والندى يعمد مملكة الزهور
الطيون
والنرجس واللوتس
والاقحوان
والحنون والياسمين
يا وردة الطيون
امنحينا شذاك.

لا شيء سوى الانتظار

المكان: على أطراف قرية مهجورة.
الشخصيات: إمرأة شابة في أواخر العشرينيات.
ناسك كث الشعر يرتدي ملابس بيضاء.
(ضوء المسرح خافت. تبدأ الاضاءة شيئا فشيئا)
(الجوقة تتقدم الى المسرح وتغني)
هذا زمن العبث
قدر عبثي
مصيرعبثي
حروب عبثية
حروف عبثية
موت عبثي
لا شيء هنا سوى الانتظار!
(تطفأ الانوار، وتختفي الجوقة)
يضاء المسرح نصف اضاءه. ثم نرى رجلا متوسط الطول، كث الشعر بملابس بيضاء وهو يتكئ على عكاز، ويتقدم ببطء نحو المسرح. يدور حول المسرح عدة مرات، قبل أن يتوقف، ثم نشاهد صبية قادمة بسرعة الى المسرح..
الصبية: (باندهاش) أهذا انت، لقد عدت ثانية أيها الناسك؟
الناسك: أجل لقد عدت!
الصبية: لماذا عدت؟
الناسك: كان عليّ أن أعود
الصبية: لكن لماذا؟
الناسك: هل تريدين أن تعرفي؟
الصبية: طبعا والا لما سالت!
الناسك: لقد انكسر حوض الورد

الصبية: (بشيء من الخوف)
ماذا تقول أيها الناسك؟
الناسك: قلت لك لقد انكسر حوض الورد.
الصبية: أحقا ما تقول؟
الناسك: أجل انكسر الحوض
(يتحرك حول المسرح ثم يتوجة الى الجمهور)
انكسر الحوض
وهاجرت الازمنة
صار الزمان غريبا
وصار المكان غريبا
وصرنا غرباء
تمددت الصحراء
فوق حقول الطيون
الصبية: (بدهشة اكثر) هل يعني اننا كسرنا فخارنا الطيني؟
وانقطع الحبل السري مع الرجاء
وغطت عاصفة الرمل معالم الطريق؟
الناسك: (يظل صامتا ولا يقول شيئا)
الصبية تتابع: هل بتنا هائمين بين انياب الامواج، واسماك غذائها الاطفال
أخبرني أيها الناسك
هل فقدنا قلق الروح
وتصلبت شرايين الأمل
وبتنا نتسكع على أبواب العتمة!
(الناسك يتحرك بطريقة دائرية حول المسرح ثم يقترب أكثر من الصبية).
الناسك: (بهدوء شديد) سأقول لك يا صبية
العاصفة تهب وتضرب. (يتوقف للحظة ثم يقول بصوت خافت)

تضرب وتضرب
تحصل احداث كبرى
يتقدم الجهلة الصفوف
والطبول تدق لهم
تصاب القلوب بانفلونزا حادة
وترقد في الموت السريري
لا أحد يعرف كم من الزمن
ولا شيء يفتح عيونها سوى لحن الرعاة
ولا شيء يوقظ قناديل السماء
سوى ناي راع في المساء
يقود قطيعة في حقول الالهة
وهو يغني
أغاني غناها الأجداد
من زمن المواسم
عندها يبدأ تاريخ جديد
الان انكسر حوض الزهور
(تطفأ الانوار ولا نرى وجه الناسك فيما تظل الصبية واقفة وحيدة في وسط المسرح).
الجوقة تعود ثانية الى المسرح وتغني:
هذا زمن العبث
قدر عبثي
مصير عبثي
حروب عبثية
حروف عبثية
موت عبثي
لا شيء هنا سوى الانتظار
لا شيء هنا سوى الانتظار!

الروابي التي ما عادت لنا!

رجال ونساء متشحون باللون الأسود يسيرون بصمت. أمامهم ووراءهم قرى مهجورة، وحقول يابسة وأشجار بلا أوراق وورود بلا أزهار. وفوقهم سماء مدلهمة، وغيوم سوداء تتحرك في كل اتجاه. لا أحد ينظر يمنة أو يسرة، والكل يسير في ذات الاتجاه، اتجاه مغيب الشمس!

فجاة يسمع الجميع صوت إمرأة، وهي تركض خلفهم وتصرخ بصوت عال، توقفوا توقفوا!

يتوقف الجميع عن المسير وتقترب إمرأة بملابس زاهية وتقف أمامهم!

المرأة: أنا رجاء الناجية الوحيدة من غزو المغول. الى أين أنتم ذاهبون؟

تتقدم إمرأة منها وتقول: ذاهبون الى حيث نذهب! لا نعرف الى أين تأخذنا الطريق؟ المهم أن نغادر من هنا!

رجل اول: لم يعد هناك شيء لنبقي لأجله. غدت الارض يباسا.

أمل: الحقول لم تزل على حالها، وإن كانت يباسا الان، فانها ستزهر بعد حين.

يتقدم شاب ويقول بصوت عال:

حل الخريف

والكنعاني الهائم يسير هائما
في ليل التيه
وتيه المواسم
قلق الازمنة
الحروب التي جرت
والتي ستأتي
صور من ماتوا
وصور من سيموتون
في نينوى
وارام
وبلاد كنعان
صهيل الليل في هزيعه الاخير
اصوات عابرين
وراحلين
وصراخ امكنة
وصوت ناى
وترانيم
تتقدم إمرأة عجوز نحو رجاء:
جاء ريح الوقت
وغادر الصيف
ورحلت العصافير
واختفى النمل من الطرقات
وصراصير الحقول

مضت الى حجورها
ووجه الشجر اصفر
لقد حل الخريف
على بلاد كنعان!
يقترب رجل ثانٍ من رجاء ويقول:
واسماء اماكنهم
تحكي بعض قصتهم
في الازمنة السعيدة
كان الالة بعل يتبختر بقمبازه
في ساحات قرى كنعان
من اجل عيون عناة
التي كانت حين تراه
ترفع عقيرتها بالغناء
فتزهر البراعم
فوق تلك الروابي
التي ما عادت لنا!
تقترب إمرأة شابة من رجاء وتقول:
نرى زيتون اجدادنا يسرق
عرق ابائنا صار موائد لهم
قبل وقت كان كله لنا
أما الان فلا نصيب لنا سوى النظر
بحسرة الى حقولنا

من وراء السياج.

يتقدم رجل عجوز من رجاء ويقول:

التلال التي لعبنا عليها

صارت مدن اسمنت

للقادمين من وراء البحر

تكسرت طفولتنا بين الاسمنت

والرصاص

واصوات تلك الازمنة

اصفر لونها

بدت شاحبة مثل الموت.

تتقدم إمرأة من رجاء وتقول:

العالم الذي نناديه

لا يسمع أصواتنا

أغلق أذنيه

قرر ألا يسمع!

(رجاء تقترب منهم، تنظر اليهم واحدا واحدا. تتفرس في وجوههم وتقول بصوت عال):

اسمع اصوات الحصادين

اسمع اصوات اغاني البيادر

من قلب تلك الحقول

اسمع صدي الحان الازمنة الاولى

تدعونا أن نكسر القيد.

(تتوقف رجاء للحظات. تتحرك بينهم مرة ثانية)

سيأتي وقت تعرفون فيه
كم أهملنا زيت القناديل
في مواسم الضمأ
ولما أجدبت حقولنا
تذهبون ولكن الارض لن تذهب
عما قريب يحل الربيعّ
أحمل أيها الكنعاني بعضا من أمانى
وازرعها في حقل الريح
لعلها توقد شمعة
أو تولد بعضا من رياحين
الان أودعكم
اذهبوا الى حيث تريدون
لكن تذكروا دوما
وقولوا لاولادكم واحفادكم
لا تنسوا أرض كنعان!

حكاية الانسان!

المكان: على طريق ترابي يؤدي الى غابة.
الاشخاص: إمرأة في اواخر الاربعينيات. ترتدي ملابس ريفية سوداء وقد غطت راسها بمنديل اسود. رجل طاعن في السن. لحيتة بيضاء ويرتدي جبة قديمة.
(المسرح مضاء نصف اضاءة)
(تظهر على المسرح المرأة في ظل اضاءة خفيفة، وتبدأ في النظر يمينا ويسارا كأنها تبحث عن شيء ضائع)

المرأة: (تتوقف ثم ترفع يديها نحو الفضاء)
الاحزان تأكل قلبي
عرفت ابني منذ أن كان في احشائي
انتظرته تنهيدة بعد اخرى
واغنية بعد اغنية
وموسما بعد موسم
كنت أشبع نظري برؤيته صباح مساء
في الليل والنهار
في الحلم واليقظة
ثم جاءت الحرب
قالوا بعيدة عنا
ثم اقتربت
قتلوا زوجي

ثم وحيدي
وصرت وحيدة
أيها الاله القابع في السماوات البعيدة
هل تصلك اصوات احزاننا؟
(يضاء المسرح، ويظهر رجل بلحية بيضاء تغطي وجهه)
المرأة (خائفة) يا الهي انه شبح!
الرجل: لا تخافي ايها المرأة انا لست بشبح.
المرأة: من انت؟
الرجل: انا الغريب القادم من الازمنة الاولى.
المرأة: (باستغراب وخوف) من الازمنة الاولى، وكم مضى عليك أيها الغريب وانت تسير من تلك الازمنة؟
الغريب: قرون وقرون.
المرأة: (متعجبة) قرون وانت تسير وحيدا؟
الغريب: (بهدوء) أجل، قرون وأنا أسير.
المرأة: لا بد أنك شاهدت الكثير اثناء الرحلة؟
الغريب: ماذا اقول لقد شاهدت كل شيء!
المرأة: (باستغراب اكبر) كل شيء. ماذا تعني؟
الغريب: (بحزن) رأيت كل ما فعلة الانسان على الارض.
المرأة: هل لك ان تخبرنى؟
الغريب: (يتحرك يمنة ويسري)

حين نولد
يشعل الرب بنفسه شموع السماء
يضع الزهور على المنضدة
ويغادر لأمر آخر
نجلس قرب شجرة النيرفانا

حيث الحقيقة المطلقة

والزمن اللامتناهي

وحيث الصلاة

صلاة للبيادر

وصلاة للفرح

المرأة: (وقد ازدادت نهما للمعرفة) أخبرني أيها القادم من تلك الازمنة الغابرة كيف كانت تلك الازمان؟

الغريب: (لم يزل يتحرك ذهابا وايابا وهو يرفع يديه)

في الازمنة البعيدة

كان الكون طازجا كما خلقه الرب

كانت الغيوم تتهادى كل يوم على صفحة السماء

وكان القمر يمر كل مساء

يشرب القهوة مع الناس

يقص عليهم اجمل القصص

ويعود اخر الليل الى بيته

في السماء

لم يكن الانسان قد تمرد بعد

ليصنع كونا على مقاسه.

المرأة: (يزداد حب المعرفة عندها) وماذا حصل بعد ذلك، كيف تمرد الانسان؟

الغريب: (بدأت الدموع تكلل لحيته البيضاء) آه، ماذا اقول!

المرأة: لماذا تبكي أيها الشيخ؟

الغريب: أبكي على مصير الانسان!

المرأة: لماذا؟!

الغريب: آه، ماذا اقول!
المرأة: ارجوك قل ما عندك.
الغريب: انها قصة الانسان!
المرأة: ما هي قصة الانسان؟
الغريب: (يتحرك على طول المسرح ويتوجة للجمهور)
قسم الانسان الكون
وضع خرائط بلون الدم
وقسم البشر الى شعوب
والوان واديان
وسالت دماء كثيرة
في الانهر والوديان
تلك هي حكاية الانسان
منذ بداية الازمان وحتى الان
المرأة: من انت ايها الغريب لتعرف كل هذا؟
الغريب: انا التاريخ، لقد شاهدت كل شيء! تشجعي يا ابنتي، تابعي حياتك، لا تفقدي الامل. الوداع!
(يمضي الغريب، وتبقي المرأة في مكانها)

مسافرون في الزمن الجليدي!

المكان: ارض يكسوها الجليد.
الشخصيات: رجل في حوالي الاربعينيات من العمر.
إمرأة في اواخر الثلاثينيات من العمر.
(اضاءة خافتة على المسرح. يتقدم الكورس الى المسرح)

الكورس:
مسافرون في الزمن الجليدي
الامطار متجهمة
الارض خراب
والسماء داكنة
(تتصاعد اصوات موسيقى ويختفي الكورس)

يتقدم الى المسرح رجل في حوالي الاربعين من العمر يرتدي ملابس بيضاء، ومن الجهة الاخرى تتقدم إمرأة في حوالي اواخر الثلاثينيات من العمر، وهي ترتدي ملابس داكنة.

هو: مسافرون معا في الزمن الجليدي
والامطار جليد
هي: والاحلام اشلاء
والكلام اشتباك مع الذاكرة
هو: (ينظر حواليه) والمراكب تغرق من حولنا
ودموعنا مطر اسود!

هي: أشلاء ألحان
وأصوات نحيب
يرددها الليل في هزيعه الاخير
من أجل الخلاص
هو: اسمع اصواتهم. انه يصلون! (تعلو صوت الموسيقى على المسرح اكثر واكثر)
يقولون:
لا تهجروا سنابل الأمل
هي: يقولون
يأتي يوم جميل
يشبه احلامنا
هو: يقولون
تشرق الشمس على خبز الحياة
هي: يقولون
عانقوا سنابلكم وقوموا من الموت الجليدي
فسوف ينقشع ضباب الأيام المتعبة
هو: يقولون
أحمر وجة الخبز
فاقتربوا من مائدة الحياة
(تزداد الاضاءة على المسرح)
هي: ابتسمي ايتها العيون المتعبة
الخارجة من الازمنة الكالحة
القادمة من ارصفة المسافات
هو: ودعوا الحزن المقدس وتعالوا

عاد الرب من اجازته الطويلة
هي: اجبلوا الفرح مع خبز الامل
وهيئوا أرغفة المواقد
لقد حل موسم الفرح!
(موسيقى فرح تملا المكان)

لاجل زمن قادم!

رجالٌ ونساء يسيرون ببطء في مكان صحرواي مقفر. وقد بدا التعب جليا على وجوههم!

رجل اول يصرخ بأعلى الصوت:
نحن في قلب الصحراء
نسير على غير هدى
لا اثر لطريق
ولا ملامح لأفق!
رجل ثاني:
إن لم نجد سبيلا سنموت
وإن لم نجد خبزا سنموت
وإن لم نجد دليلا سنموت.
إمرأة اولى:
الصحراء واسعة
صفراء، مقفرة
لا صوت حشرة
ولا صوتا يقتل الوحشة
رجل ثالث بصوت عال:
أين أنت يا ربان القافلة
يا ربان القافلة اين انت؟

لقد اضعنا الطريق
ونحن هائمون!
رجل رابع:
نسير نهارا ونحن ضائعون
نسير ليلا ونحن تائهون
لا نعرف اين نحن؟
أين ربان القافلة؟
لنعرف الى اين ذاهبون؟
إمرأة ثانية:
لا أحد يعرف أين ربان القافلة؟
لعله غرق في الرمال
أو ضل الطريق
أو يسير على غير هدى
أو فقد الوعي ونام.
رجل خامس:
الشمس بعيدة
والشفق بعيد
ونحن فوق الرمل الاصفر
يهبط بنا الى القاع
نغرق.
إمرأة ثالثة:
اسمعوا
اسمع صوت ريح قادمة

تعصف بالرمل
تعصف بالتاريخ
وتعصف باقدار البشر.
رجل سادس:
اسمع صوت انين
أسمع صوت من ماتوا
في حروب الأزمنة الاولى
وحروب اليوم
اسمع ألحان ناي حزن.
إمرأة رابعة (تتقدم الى الامام ثم تتفرس في وجوه الجميع فردا فردا)
يا رجال ونساء القافلة انهضوا
أرى شفقا من بعيد
أرى انوارا خافتة مثل مصباح يضيء وجه طفل ولد للتو
أرى عيونا تتشابك اضواؤها.
أرى حناء موشاة فوق مواكب الفرسان
أرى مواسم تشتعل اقحوانا
وأرى نسائم عذبة تدغدغ شعر الصبايا الحالمات
هلموا يا رجال ونساء القافلة
دعنا نجد الطريق!

بانتظار الامل!

(ضوء خافت وموسيقى خافتة)
يظهر الكورس ويبدأ في الغناء:
أمل يتارجح بين
الولادة والموت
والحسرات اختبأت
بين اضلع النهر.
(يزداد الضوء قليلا. تتحرك الى المسرح إمرأة ترتدي ثوبا كنعانيا تتحرك في وسط المسرح)
انا ابنة كنعان
من مدينة القمر اريحا
رحل حبيبي بعيدا
وانا هنا انتظر.
(تظهر إمرأة كنعانية ثانية)
وانا من يافا
رحل ابي
في زمن الترحال الاكبر
وانا ما زلت انتظر.
المرأة الاولى: (تنظر الى الافق)
ونحن بانتظار الامل
نتأرجح بين القدر
وقسوة البشر

وفي كل يوم تنفخ امي على قدر الرجاء
وترعاه
ليبقى طفلا يحلم.
المرأة الثانية (تتحرك حول المسرح)
ونهر الاردن هائما يسير
وحين يفيض النهر
يحمل طميا احمر
وذاكرة لوحها البرتقال
واحجارا عتيقة
وسنديانا وزعتر.
المرأة الاولى: (تتحرك على طول المسرح وقد بدات الموسيقي تعلو شيئا فشيئا)
واغان من زمن الترحال الاخير
وخواتم صبايا كنعان
على ضفة النهر
بانتظار عودة من رحلوا
في الزمن الاصفر!
تغادر المرأتان المسرح ويعود الكورس وتبدأ الموسيقى بالانخفاض شيئا فشيئا:
أمل يتارجح بين
الولادة والموت
والحسرات اختبات
بين اضلع النهر
وسواقي الرجاء.

في حضرة جلال الدين الرومي!

مساء يوم بارد. وبين الحين والاخر نسمع اصوات برق ورعد. لكن ذلك لا يبدو انه يؤثر على الحوار الذي يجري بين رجل وإمرأة على حافة ما يشبه ضريحا. الرجل طويل ذو ملامح باهتة. غطى الشيب رأسه تماما. أما المرأة فهي قصيرة ذات عينين عسليتين وهي تقلب عيناها اثناء الحديث.

الرجل: (ينظر باتجاه الضريح المفترض ان يكون ضريج جلال الدين الرومي)

اسمع صوتك يا جلال الدين
من بين القرون
تخبرنا عن التسامح
وعن صفاء الروح
والعشق الالهي
ونحن نلاقي الاهوال!

المرأة: (تنهض وتتوج هوتقترب من الضريح)

أجل نلاقي الاهوال
ونسبح عكس التيار
كما كنت في زمن المغول
لكن الان يا جلال الدين
لم نعد نعرف من هم المغول
ومن هم غير المغول
ولا نعرف حتى
ان كنا انفسنا صرنا مغولا!

الرجل: (يقترب ويضع يديه على الضريح)

لم نعد نعرف كيف نموت؟
بطائرة بلا طيار

تقتل الناس وهم يعدون الغداء
وتقتل أمّا تغني لطفلها لكي ينام
أو نُذبح مثل الاغنام
أو نغرق في البحار
المرأة: (بصوت قلق) أنت تركت المغول يهاجمون.
واعتكفت في مكان قصي لتفكر في حقيقة الوجود.
أما نحن تلاميذك.
السائرون على خطاك.
فلا مكان نذهب اليه.
الرجل: (مقاطعا، اسمع صوتا قادما من الضريح)
المرأة: (باستغراب!) صوت؟
الرجل: اجل اسمع صوتا. انصتي..
(يسمع صوت حشرجة صوت ما يلبث ان يتضح شيئا فشيئا).
الصوت: بلي يوجد مكان تذهبون اليه لكنكم لا تريدون.
الرجل والمرأة: (باستغراب) يا الهي انه صوت مولانا جلال الدين الرومي!
المرأة: (بحسرة) كل الطرق مغلقة، اين نذهب يا مولانا؟
الصوت: الطريق ليست مغلقة، الطريق الى ذواتكم معبدة.
المرأة: الى ذواتنا، كيف؟
الصوت: كيف. لانكم وسط ضجيج الحياة فقدتم الاتصال بذواتكم. وليس امامكم سوى أن تتصلوا بذواتكم!
الرجل: ولكن كيف نتصل بذواتنا في هذه الظروف؟
الصوت: عودوا الى جوهر الحياة. حرروا ذواتكم من كل ما لصق بها، ومتى حررتتم ذواتكم ستعرفون الحقيقة.
المرأة: علمنا يا جلال الدين!
الصوت: قلبكم هو المعلم الاكبر وليس أحدا سواه. انصتوا له. واسمعوا ماذا يقول لكم.

الحكم بالاعدام

المكان: ساحة عامة في اي مكان في العالم يوجد فيه ظلم، الجغرافيا ليست مهمة.
رجل يسير لوحده في الساحة وحوله اشخاص يتحدثون بصوت منخفض.
الرجل يسال اول شخص يقابله:
قل لي ايها السيد من هو الرجل الذي سيحكم عليه بالاعدام؟
(الرجل ينظر اليه باستغراب)
- ألا تعرف حقا؟
الرجل الاول:
حقا لا أعرف.
الرجل الثاني: هل هذا معقول؟
الرجل الاول: معقول ام لا، لكني لا اعرف.
الرجل الثانى: لكن كل الناس تعرف. وقد حرص الملك ان يعرف الجميع.
الرجل الاول (بدا يضيق ذرعا) لكن انا لا اعرف.
الرجل الثانى: (متفرسا في وجهه)
لكن كيف حصل انك لا تعرف؟
الرجل الاول:
لا يوجد سبب سوى اني لا اعرف.
الرجل الثانى: هل كنت خارج المملكه؟
الرجل الاول: كلا.

الرجل الثاني: هل كنت مريضا؟
الرجل الاول: كلا.
الرجل الثاني: هل كنت نائما؟
الرجل الاول: كلا.
الرجل الثاني: معنى هذا انك لا تملك سببا وجيها
الرجل الاول: عن اي سبب وجية تتحدث؟
الرجل الثاني: السبب الذي منعك من المعرفة.
الرجل الاول: لا شيء، كل ما في الامر اني لم اسمع الخبر.
الرجل الثاني: لكن منادي الملك طاف بكل الحارات.
الرجل الاول: لكن لم اسمع.
الرجل الثاني: معنى قولك إن صوت منادي الملك الجهوري كان ضعيفا.
الرجل الاول: لا اعرف بما اجيب لكن لم اسمع الخبر.
الرجل الثاني: تقصد أن الملك لا يقوم بواجبه؟
الرجل الاول: (وقد بدا خائفا) أبدا، أبدا.
الرجل الثاني: (بشعور المسيطر) هذا هو قصدك.
الرجل الاول: كيف؟
الرجل الثاني: اذا لم تسمع صوت منادي الملك. معنى هذا أن الملك عين مناديا فاشلا!
الرجل الاول: لا، لم اقل ذلك.
الرجل الثانى: طبعا قلت، ولا داعي للانكار.
الرجل الاول: لا، لم اقول ذلك.
الرجل الثاني: معنى هذا انك تدعو الى...
الرجل الاول: (بفزع!) ابدا، لا ادعو الى شيء.
الرجل الثاني: (بشعور الانتصار) لقد قبضنا عليك متلبسا بالجريمة والادلة كلها واضحة، ولا مجال الان لاخفائها.

الرجل الاول: أي جريمة؟
الرجل الثاني: (مناديا بصوت عال): ايها الحراس اقبضوا على الرجل.
الرجل الاول: عن من تتحدث؟
الرجل الثاني: عنك انت.
الرجل الاول: أنا، لماذا؟
الرجل الثانى: لانك ستحكم بالاعدام.
الرجل الاول: (هلعا) ماذا فعلت؟
الرجل الثاني: كل ما قلته عن الملك، ولم تفعل شيئا!
(يتقدم الحراس ويمسكون بالرجل الاول)

الجنازة!

حشد من الناس في جنازة لأحد الاشخاص
صديقان يلتقيان في الجنازة. يتصافحان بحرارة واضحة

الاول: سعيد جدا برؤيتك حتى في مثل هذه المناسبات الحزينة.
الثاني: انا ايضا. لكن لم اكن اتوقع وجودك هنا!
الاول: هل تعرف المتوفي؟
الثاني: لا.
الاول: اذن أي اقدار احضرتك الى هنا؟
الثاني: (يكرر قائلا كلمة اقدار) لا اقدار ولا شيء. كل ما في الامر اني شاهدتك تسير في الجنازة. شعرت بقوة أن على أن أتي للمشاركة. كنت أظن أنك سافرت للمدينة الثانية؟
الاول: أجل وقطعت عملي لاجل المجيئ.
الثاني: معنى هذا أن الراحل كان عزيزا عليك.
الاول: (مفكرا) أجل صديق عزيز.
الثاني: (ينظر للحشد السائر في الجنازة) جميل أن يقترب الانسان من فكرة الموت.
الاول: (بشيء من الدهشة!) هل تظن ذلك حقا؟ يقال أن الموت هو الأممي الوحيد العابر للقارات، والايديولوجيات

والاعراق.
الثاني: فعلا ولذا فالموت عادل.
الاول: عادل. لماذا؟
الثاني: لانه يوحد بين القاتل والقتيل.
الاول: هل تظن من العدل ان يكون مصير القاتل مثل مصير المقتول؟
الثاني: ماذا تقصد؟
الاول: اعني على المستوى الفيزيائي. الدود يقتات من جثة القاتل، كما يقتات من جثة القتيل. أي عدل في هذا؟
الثاني: هذا صحيح. لكن القاتل يموت ملعونا من الناس، والقتيل تدعوا له الناس بالرحمة.
الاول: هذا لا يفيد المقتول بشيء. حتى القاتل قد يجد منافقين يدعون له بالرحمة، لكن الدود الذي يقتاتهما لا يعرف النفاق.
الثاني: هذا هو الكون يا صديقي! الكل قاتل والكل قتيل.
الاول: ماذا تعني؟
الثاني: كل مخلوق يلعب ادورا مختلفة، تارة دور القاتل، وتارة دور القتيل.
الاول: كيف؟
الثاني: أنت تاكل لحم الحيوان، اليس كذلك؟
الاول: أجل.
الثاني: والحيوان ياكل لحم إنسان أو حيوان. أليس كذلك؟
الاول: لكن ليس كل الحيوانات تأكل لحما. البعض يأكل

العشب!
الثاني: حتى لو كان يأكل العشب، أليس العشب ضحية جريمة قتل؟
الاول: ولكن العشب لا يملك الشعور بالالم كالانسان والحيوان.
الثاني: هذا ما نعرفه الان. فقد عاش العالم الالاف السنين وهم يعتبرون الحروب بين البشر، وقتلهم لبعضهم البعض أمرا طبيعي.
الاول: ماذا تقصد؟
الثاني: اقصد أن إجماع الناس على أمر لا يعني صحته بالضرورة. من الممكن أن يتألم العشب!
الاول: لا يمكنك اثبات ذلك.
الثاني: صحيح انه لا يمكنني، لكن هذا لا يعني أن العشب لا يتألم.
الاول: (مغيرا الموضوع وهو ينظر للامام) ماذا يحصل؟ لقد توقفت الجنازة؟
الثاني: ربما يريدون دفن الميت.
الاول: (بحزن حقيقي) يا له من موقف مؤلم.
الثاني: انه فعلا كذلك.
الاول: (يربت على كتفيه) يا لقسوة الحياة ان نفارق اصدقاء اعزاء.
الثاني: أجل، ما أصعب أن يمشي المرء في جنازة صديق.
الاول: لكن قل لي كيف ترى الموت؟

الثاني: لقد تصالحت معه منذ زمن طويل.
الاول: كيف؟
الثاني: عندما اموت ساصبح جزءا من الطبيعة وهذا امر جميل.
الاول: هل معنى ذلك انك لم تعد تخافه؟
الثاني: لا، لان فكرة التحلل في هذا الكون العظيم تمنحني الشعور بالراحة.
الاول: (بسرعة) آه، يبدو أنهم وصلوا مكان الدفن.
الثاني: يا الهي كم مر الوقت بسرعة!
الاول: عن أي وقت تتحدث؟ وقت السير في الجنازة. أم وقت الحياة؟
الثاني: عن زمن الحياة طبعا. اليس الوقت مادة الحياة الاولى والوحيدة؟
الاول: الغريب أن الكثير من الناس لا يعرفون هذه الحقيقة البسيطة.
الثاني: لو فكر كل إنسان نصف دقيقة كل يوم لتغير تاريخ البشر.
الاول: وحين يفكرون، فهم غالبا ما يكونوا متأخرين. للأسف انهم مشغولين بصراعاتهم التافهة.
الثاني: وهو الامر المحزن!
الاول: ما استغربه دوما هو قدرة البشر على انتاج هذا الكم الهائل من مصانع الكراهية.

الثاني: فعلا. تخيل لو أن تلك الطاقة العظيمة كانت لانتاج مصانع للمحبة.
الاول: كانت الارض سيتكون جنة الانسان.
الثاني: فعلا، كانت الارض ستكون جنة الانسان.
الثاني: (يمد يدة فجاة الى بطنه) يا الهي اشعر بالم فظيع.
الاول: (بقلق شديد) ماذا حصل؟
الثاني: ألم رهيب في كل أنحاء جسدي.
الاول: يا الهي!
الثاني: (وقد بدا ينهار تدريجيا ويسقط على الارض) اشعر اني اقترب من الموت
الاول: يا إلهي!
الثاني: (وقد بدات عليه علامات الموت) الان فهمت لماذا جئت هنا! الوداع يا صديقي!
(الاول تتساقط دموعه ويظل صامتا)

اخيرا جاء الطفل!

المكان: منزل في ضواحي المدينة. نرى الجميع جالسين في الصالة فرحين بالمولود الجديد الذي انتظره والداه اكثر من سبعة اعوام.

الشخصيات

الام المسيحية وطفلها.
الاب المسلم.
جدة الطفل المسلمة.
جدة الطفل المسيحية.

الام: (تبدو في غاية الفرح والسعادة وهي تحمل الطفل) كم هو جميل طفلنا الغالي!
الجدة المسيحية: كم هو يشبه والدك عندما كان صغيرا.
الجدة المسلمة (غير مرتاحة!) تعني ان الطفل ليس عنده ملامح من عائلتنا؟
الجدة المسيحية: لا، أبدا لم أقصد ذلك، لكن فيه الكثير من ملامح زوجي.
الجدة المسلمة: (بتصميم) وفيه ايضا من ملامح والده. انظري الى عينيه الجميلتين اللتين تشبهان عيني والديه.

الاب: (متدخلا ولا يعجبة الحديث) لما هذا النقاش الغير مجدي، العلم يقول أن الطفل يحصل على خمسين بالمائة من جينات الأب، وخمسين بالمائة من جينات الام.
الجدة المسيحية: (بارتياح) معنى ذاك أن حصتنا من الطفل متساوية.
الجدة المسلمة: (غير راضيه) لا الولد يتبع والده.
الام: (لم يفارقها الفرح رغم النقاش) لا داعي للخلاف انه ولدنا الغالي جميعا.
الجدة المسلمة: (متوجهة الى ابنها) هل قرات الفاتحة في اذن الطفل؟
الاب: (متلعثما) الواقع اني لم افعل ذلك، أليس من الحكمة أن يقوم بهذه المهمة الشيخ.
الجدة المسلمة: (محتجة) قراءة الفاتحة لا تحتاج الى شيخ، انا استطيع قراءتها في اذنيه.
الجدة المسيحية: اذن دعنا نعمد الطفل ايضا.
الجدة المسلمة (بغضب مكتوم) نعمده، كيف هذا ووالده مسلم؟
الجدة المسيحية: لكن والدة الطفل مسيحية!
الاب: (متضايقا ومحاولا التدخل) لقد انتظرنا سبعة اعوام لكي يأتي الطفل، وها نحن نختلف في أمور تافهة!
الجدة المسلمة: انه ليس بالامر التافه، كيف نقرأ له القرآن، ونعمدة في ذات الوقت؟
الاب: وما الخطأ في هذا؟
الجدة المسلمة: لان الولد مسلم.
الجدة المسيحية: لا ليس مسلما تماما، لانه تكون في احشاء أم مسيحية.

الجدة المسلمة: لكن احشاء المرأة ليس لها دين. انها جزء من تكوين المرأة.
الجدة المسيحية: وكذلك يمكن أن يقال نفس الشيء عن منويات الرجل، اليس كذلك؟
الوالد: يا الهي هذا نقاش عقيم لا يؤدي الى نتيجة، فلنفكر الان في اسم الولد!
جدة الطفل المسلمة: طبعا سيكون اسمه محمد على اسم جده.
جدة الطفل المسيحية: اليس هذا اجحافا بحق جده انطون؟
الوالد: (بدأ صبره ينفذ) عدنا الى النقاش ثانية! لماذا لا نسمي الطفل محمد انطون؟
الجدة المسلمة: (باستغراب) كيف يمكن ان نسميه محمد انطون. هل جننت؟ هذا ضياع لهوية الطفل؟
الجدة المسيحية: ابدا، محمد انطون اسم يعبر عن كامل هويته.
الجدة المسلمة: أي هوية هذه؟
الجدة المسيحية: هوية الطفل ذات المصدرين.
الجدة المسلمة: كيف مصدرين؟ والسائل المنوي من ابني!
الجدة المسيحية: والبويضة من ابنتي!
الاب: (منزعجا اكثر) هل اصبحتما الان خبيرتين في البيولوجيا، ارجوكن توقفن عن هذا الكلام.
الام: (لم يفارقها الفرح) أجل كفى نقاشا، انكن تفسدن علينا الفرح بولادة طفلنا.
الجدة المسلمة: انا لا افسد بل اقول الحقيقة.
الجدة المسيحية: اي حقيقة؟
الجدة المسلمة. حقيقة عادتنا وتقاليدنا.

الجدة المسيحية: لكن هناك عادات بالية لسنا مجبرين ان نتبعها لان اجدادنا اتبعوها.
الجدة المسلمة: معنى هذا الفوضى.
الجدة المسيحية: لا ليس الفوضى، بل اعادة ترميم البيت.
الجدة المسلمة: ولكن البيت بني منذ زمن.
الجدة المسيحية: لكنه يحتاج الى تجديد بين حين واخر.
الجدة المسلمة: أي تجديد هذا وانت تريدين هدم كل شيء.
الجدة المسيحية: الهدم ضروري للقديم ايا كان تعلقنا به.
الجدة المسلمة: اذن نخسر جذورنا.
الجدة المسيحية: لا. بل نخسر الحماقات التي اعتدنا عليها، وصارت مقدسات لا احد يجرؤ أن يغيرها.
الجدة المسلمة: عاداتنا وتقاليدنا ليست حماقات لنغيرها.
الجدة المسيحية: بلي انها حماقات. الكثير من الحروب التي تحصل الان في بلادنا هي بسبب ما ورثناه من عادات وتقاليد وافكار خاطئة عن الاخر الذي نتقاسم معه الوطن.
الجدة المسلمة: لا، كل مشاكلنا بسبب تدخل الاخرين!
الجدة المسيحية: كلا، ثلاثة ارباع المشكلة عندنا نحن. الاخرين يستخدمون جهلنا وصراعاتنا لا اكثر!
الام: (فجاة وهي تضع راسها على راس الطفل) يا الهى!
الجدتين: (ينظران الى الام) ثم بصوت واحد: ماذا حصل؟
الأم: (بقلق واضح هي تضع يديها فوق رأس الطفل) يبدو أن الطفل اصيب بالحمى.
الجدتان: (بقلق وبصوت واحد) الحمى!
الاب: (بغضب) هذا ما حصلنا عليه من نقاشكما اللعين.

الجدة المسلمة: (تقف مذعورة وتهرع نحو النافذة) سافتح نوافذ البيت كلها ليدخل هواء جديد الى البيت.
الجدة المسيحية: (تقف مذعورة، سأتصل لاستدعاء الطبيب على الفور. تبدأ بالاتصال)
الجدة المسلمة: يا رب احمي طفلنا.
الجدة المسيحية: يا يسوع احمي طفلنا.